كل عام وأنتم بخير

ISSN 2347-2456

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

المجلد ٧٠

العدد السابع – المجلد السبعون – محرم الحرام ١٤٤٦هـ – يوليو ٢٠٢٤م

- أضمن طريق إلى الفوز المبين والانتصار على الباطل (افتتاحية العدد)
- حياة تستحق النصر والتأييد من الله
- قصة موسى والخضر عليهما السلام ، وما لها من دروس
- عظمة النبي صلى الله عليه وسلم
- الهجرة النبوية : حادث في التاريخ كبير
- الإجهاض في ميزان الشريعة الإسلامية
- أسرار التكرار في القرآن
- نبوءة وجود سبعة محيطات في الأحاديث في ضوء القرآن والحديث والجغرافيا
- الشيخ عبد الرشيد إبراهيم : آية من آيات الله
- دور العمل الإيجابي في تنحية الشباب عن المفاهيم الخاطئة

تصدرها : مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ. الهند

If undelivered please return to:

Al Baas El Islami, Majlis Sahafat wa Nashriyat , Nadwatul Ulama Campus, Tagore Marg, Post box no.93 Lucknow-226007 Uttar Pradesh, India.

Email: info@albasulislami.com Website: www.albasulislami.com

العبقري العصامي !

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده ، وما ينفع عمليًا، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق ، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غبارًا لصق به في القرون المظلمة ، وفي عصر الثورة على الدين ، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره ، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية ، مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد ، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقرين تفوّق في بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منه ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تُراث النبوة، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيرًا ، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيرًا ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع. هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقودًا في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم ، وهذا هو العملاق حقًا الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغارًا متواضعين كالأقزام.

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية

- **في الهند**

أربع مائة (بالبريد العادي)	٤٠٠ / روبية
ست مائة و عشرون(بالبريد المسجل)	٦٥٠ / روبية
ثمن النسخة	٤٠ / روبية

- **في العالم العربي ، وفي جميع دول العالم:**

٥٠ /دولارًا بالبريد الجوي ، أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

- المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك: باسم "البعث الإسلامي"

AL-BAAS, A/C NO. 10863759846
IFSC CODE: SBIN0000125, SWIFT CODE: SBININBB157
STATE BANK OF INDIA, LUCKNOW MAIN BRANCH (INDIA)

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر) ندوة العلماء ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT , NADWATUL ULAMA
P.O. BOX. 93, LUCKNOW - 226007 - U.P. (INDIA)

بسم الله الرحمن الرحيم

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

المجلد ٧٠

مؤسسة الصحافة والنشر

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

July 2024 — يوليو ٢٠٢٤م

العدد السابع ـ المجلد السبعون ـ محرم الحرام ١٤٤٦هـ ـ يوليو ٢٠٢٤م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام:١٣٧٥هـ -١٩٥٥م

المشرف العام

الأستاذ السيد

بلال عبد الحي الحسني الندوي

رئيس التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

مدير التحرير

محمد فرمان الندوي

مساعد التحرير المسئول عن المكتب

محمد عبد الله المخدومي الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Tagore Marg, Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Mob: 9889336348, 8400476826

Email: albaas1955@gmail.com , info@albasulislami.com

محتويات العدد

العدد السابع – المجلد السبعون – محرم الحرام ١٤٤٦هـ – يوليو ٢٠٢٤م

❖ **الافتتاحية :**

أضمن طريق إلى الفوز المبين والانتصار على الباطل — سعيد الأعظمي الندوي — ٥

❖ **التوجيه الإسلامي :**

حياة تستحق النصر والتأييد من الله — الإمام الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي — ٩

قصة موسى والخضر عليهما السلام ، وما لها من دروس — الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي — ١٤

❖ **الدعوة الإسلامية :**

نجاة المؤمنين : دراسة علمية في ضوء حديث : من قال لا إله إلا الله دخل الجنة — العلامة الشيخ السيد محمد علي المونكيري رحمه الله — ١٩

عظمة النبي صلى الله عليه وسلم — الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي — ٢٥

اللهم قد بلغت ، اللهم فاشهد — الدكتور أشرف شعبان — ٣٠

الهجرة النبوية : حادث في التاريخ كبير — الأستاذ محمّد عرفات عبيد الله الوانميلي — ٣٩

❖ **الفقه الإسلامي :**

الإجهاض في ميزان الشريعة الإسلامية — الأستاذ خورشيد أشرف إقبال الندوي — ٤٦

❖ **دراسات وأبحاث :**

أسرار التكرار في القرآن — الدكتور محمد . ك . باندیکادو — ٥٢

نبوءة وجود سبعة محيطات في الأحاديث في ضوء القرآن والحديث والجغرافيا — الأستاذ أنيس الرحمن الندوي — ٥٧

تيسير النحو عند إبراهيم مصطفى (كتاب إحياء النحو أنموذجاً) — الدكتورة عرفاني رحيم — ٦٧

شعر الصحابي الجليل الجارود العبدي رضي الله عنه : دراسة موضوعية فنية — أ . د . سيد جهانغير — ٧٤

زبدة التفاسير للقدماء المشاهير لشيخ الإسلام بن قاضي القضاة عبد الوهاب الغجراتي — الباحث خليل الرحمن الندوي — ٧٩

❖ **رجال من التاريخ :**

الشيخ عبد الرشيد إبراهيم : آية من آيات الله — الدكتور غريب جمعة — ٨٦

المحدث محمد مشاهد السلهتي وعلم الحديث — الأستاذ هارون الرشيد الشيريفوري — ٩٠

❖ **صور وأوضاع :**

دور العمل الإيجابي في تنحية الشباب عن المفاهيم الخاطئة — محمد فرمان الندوي — ٩٦

❖ **قراءة في كتاب :**

إلى نظام عالمي جديد — الدكتور ح . محبوب علي خان — ١٠٠

❖ **إلى رحمة الله تعالى :**

(١) الأستاذ أنيس الرحمن خان الندوي إلى رحمة الله تعالى — قلم التحرير — ١٠٢

(٢) الأستاذ محمد نسيم قمر الندوي في ذمة الله تعالى — " " " — ١٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

أضمن طريق إلى الفوز المبين والانتصار على الباطل

مع إطلالة شهر محرم الحرام تتجدد ذكريات ، سجلتها ذاكرة التاريخ الإنساني على مر العصور وكر الدهور ، وتتمثل أمام العيون صور مشرقة من معاني الهجرة بوجه أخص ، فلم يكن هذا الشهر عاطلاً من القدسية والعظمة في زمن من الأزمان ، ولم يطلع كشهر مجهول غير معروف على مسرح العالم ، بل كلما طلع هلال محرم الحرام أشرق العالم بأنواره الساطعة ، وإشراقاته النيرة ، وتجلت معنويته العظيمة ، واحترامه التليد منذ خلق الله السماوات والأرض ، فلم يكن هذا الشهر متفرداً بهذه الميزة ، بل شاركته شهور أمثال ذي القعدة وذي الحجة ورجب مضر ، فازادت أجور الأعمال أضعافاً مضاعفة ، وارتفعت نسبة الذنوب والمعاصي خطورة وفظاعة ، فكل من تقرب إلى الله في هذه الشهور نال لطفاً وفضلاً من الله تعالى ، وكسب كلاءة خاصة ، وعناية فائقة به ، فلم يكن عمله مهملاً ، ولا أمره ضائعاً ، بل نال القبول والرضا عند الله تعالى ، قال تعالى : (ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ) [التوبة : ٣٦] .

ظل هذا الشهر محترماً لدى العرب الجاهليين الذين توارثوا بقايا ملة إبراهيم عليه السلام ، لكن دسوا فيه تحريفات وتعديلات ، شوَّهت صورة هذا الشهر ، وقد كان عمل النسيئ عندهم شائعاً على نطاق واسع ، فكانوا يقدِّمون شهراً ، ويؤخرون آخر ، نظراً إلى مصالحهم الشخصية ، ومنافعهم العاجلة ، وقد تغير نظام الحج والزيارة ، وترتيب السنة القمرية التي كانت تبتدئ من شهر محرم الحرام ، وتنتهي في شهر ذي الحجة ، لكن العام الذي حج فيه النبي صلى الله عليه وسلم استدار الزمان كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ، فلم يكن بعد ذلك أثر لأي تحريف رغم كيد الكائدين ، وتزوير المزورين ، وقد نال شهر محرم الحرام عظمة من الله تعالى يوم أغرق فرعون زمن موسى عليه السلام في اليوم العاشر من هذا الشهر ، وأصبح ذلك اليوم عيداً مشرفاً ، ويوماً معرفاً لدى بني إسرائيل ، فكانوا يرحبون بهذا اليوم ، ويحتفلون به بتخصيصه بالصيام ، فقال صلى الله عليه وسلم : نحن أحق بموسى منهم ، فكان شهر محرم الحرام نقطة لحياة جديدة ، وبداية لرحلة حديثة ،

وتحولا كبيرا في دنيا العقول والأفكار ، ومنطلقا كبيرا للنشاطات المتنوعة على أوسع نطاق ، ومن ثم كان شهر محرم متصلاً من ثلاث جهاتٍ بالتاريخ الإسلامي : أولاً : شرعيته منذ خلقِ اللّه السماوات والأرض ، ثانياً : توجيه النبي صلى اللّه عليه وسلم إياه وجهة صحيحة ، ثالثاً : نجاة بني إسرائيل من ظلم فرعون في هذا الشهر .

إن الهجرة النبوية التي قام بها النبي صلى اللّه عليه وسلم ، وإن كانت قد ابتدأت في آخر شهر صفر ، وانتهت في الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، لكن إجماعِ الصحابة رضي اللّه عنهم على تعيين شهر المحرم أول شهر للسنة الهجرية خلّد ذكرى الهجرة النبوية إلى يوم القيامة ، فلا تخلو مناسبة من المناسبات في هذا الشهر ، إلا ويأتي ذكر الهجرة النبوية على ألسنة العلماء وعامة الناس ومجالسهم وأنديتهم ، وهم يستقون منها دروساً وعبراً أودعها اللّه فيها للمعتبرين ، وقبل هجرة النبي صلى اللّه عليه وسلم إلى المدينة المنورة كانت هناك هجرة بعض الصحابة رضي اللّه عنهم إلى الحبشة ، وكانت هذه أولى الهجرات في الإسلام ، فهاجر عشرة رجال وأربع نساء ، وكان أميرهم عثمان بن عفان رضي اللّه عنه ، ثم تتابع المسلمون ، حتى بلغ عددهم إلى بضعة وثمانين ، فلم تكن هذه الهجرة مجردِ هجرة إلى أرض الحبشة ، للنجاة من اعتداءات قريش ، بل كانت مقترنةً بالدعوة الإسلامية ، فكل فرد من أفراد المهاجرين كان أسوة ونموذجاً في الدعوة إلى اللّه تعالى ، بسيرته وسلوكه ، وتعامله مع الناس ، أما خطبةِ جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي فلا تكون خطبة أبلغ وأكثر تأثيراً في النفوس ، وأشمل لمعاني الإسلام من خطبة جعفر الطيار ، إنه صوَّر ما يعيشه أهل الجاهلية ، ثم كيف هداهم اللّه إلى الدين الحنيفي السمح ، كانت هذه الهجرة في السنة الخامسة بعد النبوة ، لكن أصبح جو الحبشة ملائماً ومستساغاً للمسلمين من بعد ، وبقي جعفر بن أبي طالب رضي اللّه عنه إلى السنة السابعة للهجرة في الحبشة ، وانتفع به خلق كثير ، واهتدوا به إلى الصراط المستقيم ، هكذا شأن الإسلام ، فهو النعمة المسداة ، والرحمة المهداة إذا خالطت بشاشتها القلوب ، فلن يتخلى عنها إنسان قيد شعرة ، وإن حُرق وقُتل .

هاجر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم مع مولاه زيد بن حارثة إلى الطائف ، وذلك في السنة العاشرة من الهجرة ، وكانت هجرته هذه لمصلحة الدعوة ونشرها على أرض الطائف ، وهي مدينة صِنو لمكةٍ ، وتبعد عن مكة بثمانين كم ، وكانت أرضاً خصبةً زراعيةً ،

ومصيفاً للمتنعمين ، وتسكن في الطائف قبيلة ثقيف ، وهي من أعظم القبائل ، ولها صنم باسم : اللات ، وكانت تبجل ثقيف اللات كثيراً ، فجعلت له حرماً ، تحترمه ، وتحج إليه ، قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وعرض على سادتها ورؤسائها الإسلام ، فلم يرفضوا دعوته فقط ، بل أغروا به سفهاءهم وعبيدهم ، وهم يصوتون أمامه ويرمونه بالحجارة ، حتى أدموه ، فخرج من الطائف ، وذهب إلى بستان ، وجلس فيه يستريح ، وكان قلبه جريحاً مكلوماً ، ولسانه شاكياً إلى الله ضعف قوته ، وقله حيلته ، وهوانه على الناس ، ورغم هذا الجفاء القاسي تفاءل وقال : أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده ، لا يشرك به شيئاً ، هذه الهجرة وإن لم تنجح في ظاهر الأمر ، لكن بذرت للإسلام بذرة ، خرجت براعمها ، وآتت أكلها ، وأثمرت عام الوفود حينما أسلمت قبائل مختلفة ، فأسلمت ثقيف ، ودخلت في حظيرة الإسلام ، وقيض الله في نهاية القرن الأول محمد بن القاسم الثقفي الذي جاء بالإسلام إلى السند وما جاورها من المدن ، وأنشأ هناك حكومة عربية إسلامية ، فكانت غراساً للحكومات التالية بعدها .

رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف ، فلقيه عدد من سكان يثرب في البيعتين الأولى والثانية ، وطلبوا منه أن يهاجر إلى يثرب ، لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يهاجر ، بل بقي ينتظر إذناً من الله تعالى ، أما المسلمون فأمرهم بالخروج إلى يثرب قائلاً : إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً ، ودارا تأمنون بها ، فخرجوا زرافات ووحداناً إلى المدينة المنورة ، ثم أذن للنبي صلى الله عليه وسلم في الخروج والهجرة ، فرافقه سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ظهرت من بداية سفره روائع من الصيانة والحفظ الإلهي ، خرج من بيته ، وقد نام على فراشه علي بن أبي طالب ، خرج وهو ينثر التراب على رأس كل شاب أمام بيته ، وهو يقرأ سورة يس ، وبلغ إلى غار ثور ، وأحاط به الأعداء ، فتحركت جنود الله تعالى ، فنسجت العنكبوت على فم الغار ، وجاءت حمامتان وحشيتان ، وجلستا قرب الغار ، ولله جنود السماوات والأرض ، وكانت هذه المرحلة دقيقة وحاسمة ، وصل الباحثون إلى فم الغار ، وكادوا يطلعون على غايتهم ومنشودهم ، لكن الله خيب أمانيهم ، وردهم يائسين ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان قلب النبي صلى الله عليه وسلم عامراً بالثقة بالله وتحميده ، ولاهجاً بثنائه وحمده ، وكان يقول مخاطباً لأبي بكر : ما ظنك باثنين ، الله

ثالثهما ، وقد بشر في هذه اللهجة الإيمانية سراقه بن مالك بن جعشم حينما تبعه وساخت قدما فرسه بقوله : كيف بك إذا لبست سواري كسرى ؟ ولقيا في مسيرهما إلى المدينة أم معبد ، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرع غنم من أغنام أم معبد ، وقد أعياه الجهد ، فدرَّ لبناً خالصاً سائغاً للشاربين .

وقدر الله سبحانه بعد المحن الشداد والبلايا العظام أن يصل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة مع صاحبه الوفي سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وبلغ ذلك أهل يثرب ، واستبشر المسلمون بمقدم النبي صلى الله عليه وسلم ، وطفقوا يترقبون بصبر نافد ، حتى جاء موعد وصوله إلى مقره الجديد ، واستقبل المسلمون نبيهم الكريم ، وضيفهم العظيم صلى الله عليه وسلم ، ورحبوا به أحر ترحيب ، وعم الفرح والسرور في البيوت والقلوب ، وسادت الجو سحابة من الخير والعز والسعادة ، وبدأت الجواري يتغنين نشيد الاستقبال بشعور غامر من الحب والإخلاص والسعادة ، وتحققت الهجرة في سبيل الله تعالى ، وبدأ دور العز والسعادة والفتح والانتصار ، وطفق الناس يدخلون في دين الله أفواجاً بكل اقتناع ، وشهد التاريخ مثالاً نادراً للمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، ونالت الدعوة طريقها نحو البلاد والأمصار ، وتأسست دولة الإسلام يعيش الناس في ظلها سعداء ، ويطبقون أحكام الله على الحياة والمجتمع .

كانت الهجرة النبوية منطلقاً كبيراً إلى العز والسعادة ، وطريقاً مستقيماً نحو الازدهار والانتصار ، وكذلك الدعوة إلى الإسلام في كل عصر ومصر تحتاج بادئ ذي بدء إلى الصبر على الأذى وتحمل المحن ، ومواجهة الظروف القاسية ، والهجرة في سبيل الله تمثل هذه الصور بأروع معانيها وأفضل مفاهيمها ، وهي الطريق المضمون إلى النصر والفوز المبين ، والانتصار على الباطل ، وعلى العدو الظاهر والباطن ، كما أنها وسيلة ناجحة إلى تكوين مجتمع عادل ، وبالتالي إلى إقامة دولة الحق والصدق والعدل ، قال الله تعالى : (إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [البقرة : ٢١٨] ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي الندوي
١٤٤٥/١٢/١٢هـ
٢٠٢٤/٦/١٩م

حياة تستحق النصر والتأييد من اللّه

الإمام الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه اللّه

إن تاريخ حضارة الأمم ، وتاريخ نهضتها وزوالها يعلمنا أنه إذا أصيب مجتمع بشري بالتخمة بالمدنية والرفاهية ، وابتلي بالمسابقة المجنونة في الحصول على وسائل الترفيه وترقية المدنية ، وفي رفع مستوى المعيشة ، ويبلغ رجال هذه المدنية قمةً في البذخ ، وقمةً في الترف ، وكانت عندهم جيوش كثيفة جرارة ، والعدد والعدة التي يحاربون بها العدو ، ويقهرونه ، فإن هذا المجتمع يزول لا محالة ، وإنَّ هذه المدنية تنهار ، لا ينقذها شيئ من هذا المصير المشؤوم المحتوم ، والنهاية الأليمة المقدرة .

قد أصيب المجتمع الفارسي الإيراني القديم في القرن السابع المسيحي الذي كان يحكمه أهل ساسان والأسرة الكيانية العريقة في المجد والعظمة بنفس الداء ، فقد بلغت المدنية فيها أوجها ، وذروة مجدها ، وزهوها . وهنالك أسماء معروفة في التاريخ الإيراني ، مذكورة بالأنساب ، كانوا يحافظون على هذه الأعراف ، ويوفون بهذه الشروط ، ولما غزا العرب المسلمون هذه المملكة الساسانية المترامية الأطراف ، التي توزعت العالم المتمدن المعمور مع الدولة البيزنطية لم ينفعهم هذا الترف ، ولم يغن عنهم شيئاً ، بل كان من أكبر أسباب زوال هذه المملكة وانهيار هذه المدنية .

إلى هذه الحال وصلت المدنية الفارسية الباذخة ، وأصبح قادتها وأبناؤها لا يستحقون رحمةً من السماء ، ولا ينالون رحمةً من بين جلدتهم ، فكانوا يملقونهم إذا حضروا ، ويلعنونهم إذا غابوا ، وكانوا يبغضونهم بأعماق قلبهم ، ويمدحونهم بأطراف ألسنتهم ، رياءً ونفاقاً ، وكانت المدنية تزخر بآلاف من الشعراء ، وآلاف من الأدباء ، ومئات من المؤسسات الكبيرة ، وثروة كان يحويها إيوان كسرى وقصر المدائن ، وتبدو ثروةً خياليةً أسطوريةً لا يصدقها الواقع ولا يسيغها العقل ، ولكن هذه المدنية الراقية ، وهذه الثروة الهائلة لم تنفع أهلها ، وكان هذا الجنون لترفيه

النفس ، وإشباع الشهوات ، وإرضاء الغريزة ، هو الذي كان سبب هلاكهم ، وكان من أسباب سرعة الفتح الإسلامي العربي .

إخواني ! إن هناك حياة لا تستحق التأييد والنصر من الله تبارك وتعالى ؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو العدل البر الرحيم ، وهو العزيز الحكيم ، وهو رب العالمين ، ليس ربَّ أمة ، وليس ربَّ شعب ، وليس رب بلد ، وليس رب مجتمع ، إنها ليست حاجات يجوز أن تكمل ، ويجب أن تحترم ، إنما هي نهامة بالمال ، إنها معدة خيالية ، ولا وجود لها إلا في التصورات ، لا وجود لها إلا في الأرقام ، وفي حسابات البنوك ، إذا تولدت هذه المعدة الخيالية في مجتمع ، وكانت هي الحاكمة ، وكانت هي الآمرة الناهية ، اكتسحت المجتمع موجة عارمة من التنافس المادي ، والجشع المالي ، والفوضى الخلقية ، والقسوة والوحشية ، هنالك يأذن الله بزوال هذا المجتمع ، وينطبق عليه قوله تعالى : (وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا) [الإسراء : ١٦] .

إن أخوف ما أخاف على هذه المناطق التي أكرمها الله بالثروات والخيرات وأدرَّ عليها الرزق الوفير والخير الكثير ، هو " البطر " [١] إنني إذا قرأت قوله تعالى : (وَكَمْ أَهْلَكْنَا من قَرْيَة بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ) [القصص : ٥٨] أخذتني رعدة ، وملكني الإشفاق والحذر على هذه المجتمعات السعيدة التي تعيش في عصر ألف ليلة وليلة ، وفي عصر الأساطير والأخيلة ، إن أخوف ما أخاف عليها ليس هو العدو الخارجي ، لكن هو العدو الكامن في النفوس ، الجاثم على المجتمع ، هو الذي أنذر به رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً في خطبته على جبل الصفا حيث قال : " إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد " .

وما كانوا يتوقعون حين سمعوا صوته : يا صباحاه ! إلا أنه يخبرهم بعدو كامن ، قاعد بالمرصاد وراء جبل الصفا يغير عليهم على غرة منهم ، فيستاق إبلهم ومواشيهم ، وينهب أموالهم ويسبي ذراريهم ،

---

[١] قال في القاموس : البطر : النشاط ، والأشر وقلة احتمال النعمة ، والدهش والحيرة ، والطغيان بالنعمة وكراهية الشيئ من غير أن يستحق الكراهية .

فهذا الذي كانوا يعرفون من معنى هذا الهتاف ، ولم يجربوا إلا نوعاً واحداً من العدو ، وهو العدو الخارجي من إحدى القبائل المعادية المنافسة ، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم نبههم على خطر جديد ، لم يكن لهم به عهد ، وهو العدو الباطني ، هو الحياة الجاهلية الوثنية التي كانوا يعيشونها بعقائدها وأخلاقها ومثلها ، إن العدو إذا وجد في داخل مجتمع ، وفي البيوت والمنازل وعشش ، وباض وفرَّخ في الأخلاق ، وفي الميول والرغبات ، وفي المثل العليا ، والمفاهيم والقيم ، فهذا هو العدو الحقيقي الذي لا يؤمن حيناً ، ولا يفارق أبداً ، إنما هي حياة جاهلية برَّأ الله العرب منها قبل أن يبرئ منها غيرهم . فكانوا حاملي راية المساواة الإنسانية ، وراية الرحمة بالإنسانية المعذبة ، وراية التقشف في الحياة ، وراية الزهد في حطام الدنيا ، وراية إيثار الآجلة على العاجلة ، وإيثار الغير على النفس ، وقد وصفهم الله بقوله : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ ، فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [الحشر : ٩] .

وهم الذين خاطَبهم مربي الأمة وحكيمها ، الخليفة الإسلامي العربي عمر بن الخطاب ، القرشي العدوي في وصيته الحكيمة للعرب " إياكم والتنعم وزي العجم ، وتمعددوا [١] واخشوشنوا [٢] ، واخشوشبوا [٣] واخلولقوا [٤] وأعطوا الركب أسنتها ، وانزوا نزواً [٥] ، وارموا الأغراض وعليكم بالشمس فإنها حمام العرب " [٦] ، فكان يجب أن يكون العرب أبعد الأمم عن الحياة الرخية الرقيقة ، وأكثرها محافظةً على حياة البساطة والخشونة ، والأخذ بالعزيمة ، فإنها هي الأمة المهيأة لقيادة البشرية في كل زمان ، فكيف إذا كانت بين فكي أسد ، ومحاطة بالأعداء والأخطار .

---

[١] تمعدد الغلام : شب وغلظ ، وقيل : معناه تشبهوا بعيش معد بن عدنان ، وكان ذا غلظ وتقشف .

[٢] اخشوشن : تخشن في المطعم والملبس .

[٣] اخشو شب : صار صلباً كالخشب في أحواله وصبره على الجهد .

[٤] تبذلوا في الملابس .

[٥] نزا ينزو ونزواً : وثب ، يعني : اركبوا الخيل وثباً ونزواً .

[٦] رواه البغوي عن أبي عثمان النهدي .

إنما شقيت الإنسانية ، وشقيت المدنية دائماً بالحاجات الخيالية ، والغايات المختلفة ، والمثل الزائفة ، إنها لم تشق بالحاجات الطبيعية ، إنه لا ذنب على المعدة الحقيقية ، وقد أحسنت الشاعرة الجاهلية حين عيَّرت أخاها في طمعه الزائد في المال ، وقالت :

وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم ؟

إن المعدة الخيالية لا تملؤها الرمال ، ولا تملؤها الأحجار والجبال ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم " لو كان لابن آدم واديان من ذهب ، لابتغى إليهما ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب " .

إن أحد نوابغ هذا العصر وكان إسرائيلي السلالة ، يهودي الديانة ، غربي النشأة ، وهو محمد أسد النمساوي الذي كان يسمى سابقاً بليوبولد ويس Leopold Veiss يحكي قصة إسلامه فيقول : إني كنت مسافراً في سنة ١٩٢٦م في قطار برلين تحت الأرض ، وكانت معي زوجتي ، وهي رسامة ، وفنانة ، كانت ذكيةً جداً ، وقد لاحظت أن كل زملائي في هذه الدرجة مكتئبون تعلو وجوههم كآبة ، ويغشاها قتام ، وكان ما يحملونه من متاع ، ويلبسونه من ملابس ، ويتحلون به من خواتم ، يدل على أنهم من الطبقة الثرية في البلد ، وكان الزمن زمن الرخاء الذي عقب سنوات " التضخم " في أوربا ، فأنا تحيرت ، وفكرت ، وقلت : لماذا هذه الكآبة ؟ ما سبب هذا الحزن العميق الذي هم غارقون فيه ؟ ولفتُّ نظر زوجتي ، وقلت : يا عزيزتي ! انظري في وجوه هؤلاء القوم ! ألا تشعرين بأنهم تعلوهم الكآبة ؟ قالت : نعم ، إنهم جميعاً يبدون وكأنهم يعانون آلام الجحيم ، فأردت أن أفسر هذه الظاهرة ، فلم أنجح ، ورجعت إلى مكتبي ، فإذا بالمصحف على منضدتي ، فأخذته من غير قصد ، وفتحت من غير اختيار ، فإذا بسورة التكاثر تطالعني ، ويقول الله تبارك وتعالى : (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ . حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابرَ . كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ علْمَ الْيَقين . لَتَرَوْنَ الْجَحيمَ . ثُمَّ لَتَرَوْنَهَا عَيْنَ الْيَقين . ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئذ عَنِ النَّعيم) [التكاثر : ١ – ٨] .

وكنت متردداً : هل أدخل في الإسلام ، أو لا أزل أشرحه ، وأعرضه في الأسلوب العلمي العصري كما كان شأني ، ولم أكن

قررت بعد أن أعتنق الإسلام ، ولما قرأت هذه السورة ، قلت : والله إن هذا الكلام لا يأتي به إلا من ينزل عليه الوحي ، هذا الكلام لا يقوله بشر قبل ثلاثة عشر قرناً ، إنه يصوِّر المجتمع الغربي المعاصر الراقي بقسماته ومخايله ، ويتنبأ بالعذاب النفسي الذي يتميز به هذا القرن العشرون رغم رقيه الصناعي والحضاري ، ويعين مصدر هذا العذاب والشقاء الذي كان يعانيه ركاب القطار ، الذين رافقتهم ، ويعانيه المجتمع الأوربي بشكل عام ، وهو " داء التكاثر " لا غير ، فمن ساعتي خرجت إلى صديق لي مسلم هندي ، وقلت : يا أخي ! ماذا يفعل من يريد أن يدخل في الإسلام ؟ قال : يقول : " أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله " فنطقت بالشهادتين ، وأصبحت مسلماً [1] .

إخواني ! أنا أوصي أولاً نفسي وإياكم بعد ذلك ، أن نعتبر بالحوادث التي تقع حولنا ، وأن نغير نفوسنا قبل أن تغيرنا العوامل القاهرة ، المفروضة علينا في الداخل ، أو الواردة إلينا من الخارج ، التي تجوس خلال الديار ، ولا ترحم أحداً ، ولنجعل المثل الكامل هو الحياة الإسلامية العادلة ، المؤسسة على إيثار الآخرة على الدنيا ، المؤسسة على الحقائق الغيبية الدينية ، والمثل الخلقية ، والمبادئ الفاضلة ، ونحترز من الذنوب والكبائر ، وقد كتب سيدنا عمر بن عبد العزيز إلى قائد جيشه فقال :

" آمره ألا يكون من شيئ من عدوه أشد احتراساً منه لنفسه ومن معه من معاصي الله ، فإنَّ الذنوب أخوف عندي على الناس من مكيدة عدوهم ، إنما نعادي عدونا وننصر عليهم بمعصيتهم ، ولولا ذلك لم يكن لنا قوة بهم ، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فلو استوينا نحن وهم في المعصية كانوا أفضل منا في القوة والعدد ، فلا ننتصر عليهم بحقنا ، ولا نغلبهم بقوتنا ، ولا تكونوا لعداوة أحد من الناس أحذر منكم لذنوبكم " .

أقول هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ، وأدعو لكم وللمسلمين جميعاً ببقاء العافية ، وطول السلامة ، والتوفيق والهداية .

[1] اقرأ القصة بطولها ونصها في " الطريق إلى مكة " لمحمد أسد ، ص ٣٢٧ – ٣٢٩ ، ولقد لخصها العلامة الندوي في المحاضرة اعتماداً على ذاكرته .

قصة موسى والخضر عليهما السلام ، وما لها من دروس

(الحلقة الثانية الأخيرة)

الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله

تعريب : محمد فرمان الندوي

سبب خرق السفينة :

قبل كل شيئ ذكر سيدنا الخضر عليه السلام عن السفينة أنها كانت لمساكين يعملون في البحر ، وكانت ذريعةً لاقتصادهم وكسب معاشهم ، فكانوا يكسبون بها نفقاتهم اليومية ، وكان ملاح السفينة يذهب بالناس من ناحية إلى ناحية أخرى في البحر ، ويأخذ منهم الأجرة ، فخرقتُ في ناحية منها ، وجعلتها ذات عيب ، ذلك لأنه كان يسكن قريباً منها ملك ، يغصب سفناً جديدةً لاستعمالها ، ولعل هذه المناطق مناطق المياه ، وكانت الحاجة فيها إلى سفن دائماً ، فإن الملك بدلاً من أن يشتري السفن ، أو يكلِّف واحداً لصناعة السفن ، يأخذ سفن المساكين غصباً ، وبما أن هذه السفينة قد صُنعت حديثاً ، وكان ربانها فقراء ومساكين ، فشاء الله أن تسلم سفنهم من سيطرة الملك ، فقال الخضر عليه السلام : إني خرقت هذه السفينة ، لئلا يأخذها عُمال الملك ، نظراً إلى خرقها وفسادها .

بركة كسب الحلال :

إذا فكر إنسان في كسب الحلال رزقه الله بركةً وخيراً ، وأنشأ له أسباب حفظه وصيانته من الغيب ، فالقصة المذكورة أعلاه مثال واضح له ، فإن الله تعالى قد حفظ سفينة المساكين الذين يكسبون أقواتهم بجهد ومشقة ، من سيطرة الملك الظالم ، فرحمهم ونجاهم من هذه المصيبة ، ولو سُلبت منهم السفينة لانتهت ذريعة اقتصادهم ، واضطروا إلى اختيار ذريعة أخرى لكسب أموالهم ، لكن الله هو الرزاق الحقيقي ، وضع عنده حق منح الرزق ، فهو يعطي الرزق ، فأكرم هؤلاء المساكين بذريعة الرزق ، وأنقذهم من المصائب ، لكن العبد أحياناً لا يعتقد فضل الله هذا ، ويبتلى بهذا المرض أنه رُزق المال بجهده وسعيه .

إن غاية نزول سورة الكهف هي أن يعرف العبد معرفةً تامةً أن كل ما يقع في هذا الكون يقع بأمر من الله تعالى ، لا بسعي الإنسان وجهده ، ويتجلى من ظاهر أعمال الإنسان أنه هو الفاعل الحقيقي ، هو الذي جعل نظام الدنيا مقصوراً على الذرائع ، وتكون هذه الذرائع في الظاهر مؤثرة ، لكن الواقع أن جميع الذرائع تعمل بأمر من الله تعالى ، وإذا كانت ذريعة غير مؤثرة أنشأ الله تعالى ذريعةً أخرى من عنده ، وكان من المتوقع بالنظر إلى ظاهر الأمر أن السفينة تُغصب ، بحيث يأتي عُمال الملك ، ويعجبون بهذه السفينة ، ويحملونها معهم ، فتسلب ذريعة الاقتصاد لهؤلاء الملاحين المساكين ، لكن الله يوفر الرزق ، إنه لا ينزل الرزق من فوق السماء مباشرةً أو لا يلقيه في جيب شخص ، بل يوفر الرزق بذريعة من الذرائع المادية ، كما وفر الله لهؤلاء المساكين وسائل الاقتصاد ، ولم يعطل لهم هذا النظام .

فليعلم من هذه القصة أن الله هو الذي يقدِّر ذريعةً لكسب الرزق ، ثم يجعلها مؤثرةً أو معطلةً ، لكن خطأ الإنسان أنه يعتبر هذه الذريعة من صناعة يده ، ويتفكر أنه اخترعها من عند نفسه ، فكسب بها المال ، وليس فيه لأحد تدخل فيه ، فاللافت للنظر أن نفكر في هذه الذريعة : من خلقها ؟ ومن وضع فيها تأثيراً وفائدةً ؟ فإذا لم توجد هذه الذريعة فكيف يستفيد الإنسان منها ؟ الواقع أن الذرائع كلها خلقها الله عز وجل ، ويبقي فيها التأثير الذي أودعه ، فالسكين الذي يحمل قوة القطع يكون ذريعةً للقطع والفصل ، لكن الله تعالى إذا شاء سلب منه هذا التأثير ، فاتضح منه أن جميع الذرائع خلقها الله تعالى ، فإذا شاء أبقى فيها التأثير ، وإذا شاء سلبها منها .

سبب قتل الغلام :

بعد ما عبر سيدنا الخضر عليه السلام البحر قتل غلاماً كان يلعب مع أترابه ، فقال عن سبب قتله : إن أبويه كانا مؤمنين ، يعملان كل عمل ابتغاءً لوجه الله تعالى ، ويعيشان حياتهما طلباً لمرضاته ، ويجتنبان الذنوب والمعاصي ، فكانت مشيئة الله تعالى أن يكونا في حياتهما مطمئنين ، ولا يكون هذا الغلام فتنةً لهما في المستقبل ، وكان يخشى نظراً إلى الذرائع الظاهرة أن هذا الغلام سيكون فريسةً للضلال ، ويكون محروماً من نعمة الإيمان ، وكان ذلك ممكناً ، لأن أوضاع هذه

المنطقة ستكون متأزمةً ، فتتعرض لها الأجيال ، وبما أن الإنسان يفسد من الصحبة الفاسدة ، ويقبل أثر رفاقه وأصدقائه ، ويصطبغ بصبغة بيئته وبلاده ، فكان في علم الله تعالى أن هذا الولد سيكون في المستقبل مصاباً بالأمراض الفاسدة لقربته ، ومتأثراً بالأخلاق السيئة التي تكون فتنةً لوالديه ، فقبل أن تأتي هذه المرحلة السيئة جنَّب الله الوالدين من الوقوع في الفتن ، وحفظ إيمانهما رغم ما أمكن لهما نظراً إلى الذرائع الظاهرة ، وغيَّر الله نظامه جزاءً بأعمالهما الصالحة ، فإنهما وإن كانا قد أصيبا بصدمة كبيرة من وفاة نجلهما البار ، لكن الله أنسى رويداً رويداً حزنهما على الولد ، ورزقهما ولداً صالحاً ، لأن الله تعالى إذا ألقى على عبد مؤمن مصيبةً ، وهو صابر عليها ، آتاه أجراً مضاعفاً ، وأسعده بالتقرب إليه .

تأثير الصحبة :

تحمل الصحبة قوةً كبيرةً ، وهذه سنة الله في الأرض أن الإنسان يتأثر بصحبة أشخاص ، يجلس معهم ، فإذا كان هناك رفاق أشرار يفسد كثير من الأولاد بصحبتهم ، وإذا كانوا صلحاء أتقياء يصلحون بتأثير صحبتهم وتقواهم ، فالإنسان في هذه الدنيا يتعلم من إنسان آخر ، فتنسجم له أحواله ، ويسهل له العمل ، لكن الجاهل يظن أنه يعمل حسب فهمه وفراسته .

سبب سقوط الجدار :

قال الخضر عليه السلام وهو يذكر حقيقة آخر قصة : إن الجدار الذي قام بإصلاحه كان لغلامين يتيمين ، وكان تحته كنز لهما ، وكان الغلامان لا يستطيعان أن يخرجا كنزهما لصغر سنهما ، وإذا سقط الجدار فلا يحفظان كنزهما ، فكانت النتيجة أن أهالي الحي يذهبون بجميع هذه الكنوز ، وتلحق بالغلامين خسارة فادحة ، لكن أباهما كان صالحاً ، فجزاهما الله جزاء صلاحه وتقواه ، وأرادت مشيئة الله تعالى أن هذين الغلامين إذا بلغ أشدهما ونشأت فيهما قوة التمييز بين الخير والشر فليستخرجا كنزهما ، والظاهر أن الله عاملهما على أساس صلاح الوالد ورحمته ، وهذا يدل على أن صلاح الإنسان ينتقل إلى أولاده ، فتحصل لهم منافع وبركات .

كانت أموال الغلامين اليتيمين تحت الجدار ، وهي تعرف

بالكنز ، ولم يكن في قديم الزمان نظام المصارف والبنوك ، فكان الناس يدفنون أموالهم عامة وقاية لها من الضياع في مكان ، إما في حقولهم أو في جزء من منازلهم ، فإنهم كانوا يعرفون مواضع كنوزهم ، أو من أخبروهم ، ولا يطلع عليها آخرون .

غاية القصص الثلاث :

بعد ما ذكر سيدنا الخضر عليه السلام حقيقة هذه القصص الثلاث قال لسيدنا موسى عليه السلام : إن كل ما رأيته آنفاً ما فعلته من أمري ، كنا في الظاهر نقوم بهذا العمل ، لأن الله تعالى جعلنا ذريعة ظاهرة له ، والله تعالى هو الفاعل الحقيقي وراءه ، فكل شيئ يصدر من جهته ، لكنك ظننت أن مصدر هذه الأعمال أنا ، فلم تستطع له صبراً .

فقدم سيدنا الخضر عليه السلام بهذه القصة الفرق بين الذريعة وأمر الله ، فلو واصلا رحلتهما إلى الأمام لظهرت عشرات من القصص خلال هذه الرحلة ، وهي تدل دلالة واضحة على أن الله تعالى قادر على تغيير النظام القائم على أساس الذرائع ، بأمره المحكم ، وقال صلى الله عليه وسلم : يرحم الله موسى لوددت أنه كان صبر حتى يقص علينا من أخبارهما (صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب من فضائل الخضر عليه السلام : ٦٣١٣) .

قدرة الله على تغيير النظام :

ذكر الله قصة موسى والخضر عليهما السلام على سبيل المثال ، فلا يغتر واحد بعد ذلك بأن كل شيئ يتم بجهده ، أو يتم بنفسه ، بل الواقع أن كل شيئ يجري وفق سنة الله تعالى ، وهو لم يتغافل للحظة عن مراقبته ، فسنة الله خاضعة لله مائة في المائة ، وإذا شاء الله غير في سنته ، مثلاً : جعل الله النار ذريعةً للإحراق ، فصفة الإحراق توجد في النار ، فإذا طُرح رجل في النار نظراً إلى سنة الله في الكون أحرقته النار ، لكن لما طُرح فيها سيدنا إبراهيم عليه السلام غيَّر الله تعالى سنته ، وسلب منها قوة الإحراق ، قال تعالى : (قُلْنَا يٰنَارُ كُونِى بَرْداً وَسَلاَمًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ . وَأَرَادُواْ بِه كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ ٱلأَخْسَرِينَ) [الأنبياء : ٦٩ – ٧٠] ، فعلم منه أن النار ذريعة للإحراق ، لكنها خاضعة لأمر الله تعالى ، فلا تؤثر في شيئ إلا إذا أمرها الله تعالى .

كذلك كل شخص يعلم نظراً إلى نظام الذرائع الظاهر أن جسم الإنسان بعد موته بدأ يفسد وينشق ، ويتعفن ، لكن ما وقع مع سيدنا عزير عليه السلام كان عكس ذلك ، إنه ظل مائة عام ميتاً ، ولم يتأثر جسمه بشيئ ، بل ظل طعامه وشرابه صالحين ، لم يتسنها ، رغم أن حماره قد انتفخ جسمه ولم يبق له عين ولا أثر ، قال تعالى : (أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَٱنْظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) [البقرة : ٢٥٩] .

هذه القصة تدل على أن صفات الأشياء من الله تعالى ، وهو الذي أودع فيها خواص وميزات ، فتعمل عملها ، وتؤثر تأثيرها ، لكن الله قادر على أن يسلب منها تأثيرها ، متى شاء، وله أسباب ودواع ، أحياناً يسلب الله صفات بعض الأشياء منها لإبعاد الإنسان عن الخسارة ، نظراً إلى صلاحه وتقواه ، وتارة أخرى يغير نظام الذرائع الظاهر ، مثال ذلك أن رجلاً إذا أحبه الله ، ورضي بعمله الصالح جعل له الثواب في الدنيا مع ادخار ثوابه في الآخرة ، وأزال عنه مصيبة من المصائب ، ووفّر له صحة وعافية كاملتين في الدنيا .

المصائب : فرصة ذهبية لإصلاح النفوس :

وهناك نكتة أخرى أن الإنسان إذا أصيب بمصيبة فكان معناه أنه قد صدر منه خطأ أو معصية سببت له المصائب في الدنيا ، وذلك ما أشار إليه الله تعالى في القرآن الكريم : (وَمَآ أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ) [الشورى : ٣٠] ، فالآية تخبر بأن المصائب الدنيوية تكون نتيجة سوء الأعمال ، لكننا نعتقد أن وراء هذه المصائب سبباً خارجياً ، ولا نتفكر في أعمالنا ، ولا نراجع أنفسنا ، كذلك إذا حصلت لنا منافع دنيوية أو نعم إلهية ظننا أنها من ذكائنا وفطانتنا ، وليس لأحد مشاركة فيها ، رغم أن عقل الإنسان وحكمته لا يكونان مؤثرين إلا إذا شاء الله تعالى ، وإلا يكون العقل متحيراً رغم جميع المساعي المبذولة ، وتكون التدابير ضائعة .

نجاة المؤمنين : دراسة علمية

في ضوء حديث : من قال لا إله إلا الله دخل الجنة

(الحلقه الأولى)

بقلم : الشيخ السيد محمد علي المونكيري رحمه الله ♣

تعريب : الأخ طلحة نعمت الندوي *

كيف نحمد وبماذا نحمد الذات المقدسة سبحانه ، الذي سهّل لعباده طريق النجاة والفلاح ، وأرسل لهدايتنا رسلاً هم رحمة للعالمين ، فالصلوات عليهم وعلى أهلهم . آمين .

وبعد فإني أخوض الآن في مبحث علمي كثير الاختلاف متضارب الآراء ، فليُصْغ إليه الناظرون ، وليستمع المستمعون ، مع أني الآن لست في حالة أتناول فيها مسألة معقدة من المسائل الشرعية الدينية مثل هذه ، لأنّ التحقيق فيها يتطلب قوةً في الروح والجسد كليهما ، ولا أجد في نفسي أي واحد منهما .

ولكن طلب مني أحد أصدقائي ، وسألني عنه اطمئناناً به حتى اضطررت إلى أن أقيد رأيي في هذا .

ولقد سألني صديقي عن أمرين : أولهما ، ما هو الشرك الذي قال الله عنه أنه لا يغفر من أشرك ، وهو خالد مخلد في النار ، وثانيهما أنه جاء في الأحاديث أنّ من أقرّ بتوحيد الله عز وجلّ وآمن برسالة سيدنا محمد فالنار عليه حرام ، فلا يدخلها ، مما يدلّ على أن الإيمان يكفي لدخول الجنة ، وذلك يثير شبهةً ، وهي أنّ الأحاديث التي وردت في العقوبات من الله عز وجلّ على المعاصي في القرآن الكريم – والأحاديث بكثرة – على ما تحمل ، وكيف تؤوّل ، وأيّ داعية إلى فعل الطاعات

♣ مؤسس ندوة العلماء ورئيسها الأول .

* استاوان ، بهار شريف ، الهند .

والقيام بالأعمال الشرعية ، لأجل ذلك نشرح ههنا معنى الشرك ، والأحاديث التي تبشر المؤمن بالجنة ، أمّا معاني الشرك فقد استفاض فيها الحديث عن العلماء وأكثروا من الردّ عليه ، فأوجز القول فيه ضمن الأحاديث المذكورة آنفاً .

والأحاديث التي تصرح بأنّ النجاة تقتصر على الإيمان فحسب عدّها العلماء من الأحاديث المتواترة ، كما يتضح ذلك من بعض الآيات القرآنية .

ولكن بما أنّ صديقي قد تعرض للأحاديث فحسب ، فأورد ههنا بعض الأحاديث في هذا المعنى ثمّ أتبعها بآية وأعقبها بآراء من الشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ الرباني مجدد الألف الثاني . (أحمد بن عبد الأحد السرهندي) .

والأحاديث التي وردت في هذا المعنى ينقسم إلى قسمين :

الأول : الأحاديث التي وعدت فيها الجنة وبشر بها على الإقرار بالتوحيد فحسب .

والثاني : الأحاديث التي ورد فيها ذكر التوحيد والنبوة كليهما ، وجاء الوعد بالنجاة عليهما ، كما ذكر أنّ من آمن بتوحيد الله تعالى ونبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فالنار عليه حرام ، أو هو لا يدخل النار ، وأنا أورد أولاً الأحاديث من هذا القسم :

(١) " من شهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمداً عبده ورسوله وأنّ عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل " (رواه البخاري ومسلم عن عبادة رضي الله عنه) .

(٢) " أتاني جبريل فبشرني أنّ من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، قلت : وإن زنى وإن سرق ، قال : وإن زنى وإن سرق " (رواه البخاري ومسلم وأحمد عن أبي ذر رضي الله عنه) .

(٣) وأخرج البخاري في الرقاق هكذا ، " قال : بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، قلت : يا جبريل ! وإن سرق وإن

زنى ؟ قال : نعم ، قلت : وإن سرق وإن زنى : قال : نعم ، قلت : وإن سرق وإن زنى ، قال : نعم وإن شرب الخمر " (صحيح البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه) .

ويخرجه البخاري في كتاب الاستقراض من أبي ذر نفسه بهذه الكلمة " قال : أتاني جبريل ، فقال : من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، قلت : وإن فعل كذا وكذا ، قال : نعم " .

وهناك فرق بين الرواية السابقة وبين هذه ، وهو أنه جاء في السابقة ذكر السرقة والزنا ، وفي هذه ورد السؤال عن المعاصي الأخرى مما يشير إلى أن ليس المطلوب هو التقصير ، ويُروى هذا المعنى في مشكاة المصابيح عن البخاري وهو على ما يأتي :

قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما من عبد قال لا إله إلاّ الله ثمّ مات على ذلك إلاّ دخل الجنة ، قلت : وإن زنى وإن سرق قال : وإن زنى وإن سرق ، قلت : وإن زنى وإن سرق قال : وإن زنى وإن سرق قلت : وإن زنى وإن سرق قال : وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر " .

فهذه الأحاديث الخمسة تصرح بالوعد التامّ على الإيمان ، وهو من أهل الجنة كيفما كانت أعماله سيئةً أم حسنةً ، على أن يموت على الإقرار بالتوحيد والتصديق بالرسالة ، ولو آمن قبل الموت وبقي عليه إلى الموت ، فقد صرح في الحديث الأول " أدخله الله على ما كان من العمل " ، وفي الأحاديث التي بعدها وإن لم يصرح بكلمة مثل هذا ، بل ذكر السرقة والزنى ، ولكن الغرض منها هو هذا ، وإلاّ لم يكن هناك داعية إلى التخصص لهذه الأعمال ، كما يؤيد هذا الرأي ما جاء في الحديث الثالث من زيادة جبريل عليه السلام على سؤال النبي عليه السلام " وإن شرب الخمر " ، كأنه أشار إلى أن الذنب أيّاً ما كان فإنه يغفر له .

وقد أورد العلامة السبكي هذا الحديث في طبقاته ، وذكر في شرحه أنه ذكرت هنا معصيتان فحسب وهما السرقة والزنا ، وفيه إشارة إلى أنه يدخل الجنة وإن اقترف الكبائر كائنةً ما كانت ما لم تكن شركاً أو كفراً ، لأنّ الذنوب نوعان : أحدهما ما يتعلق بحق الله ، والثاني

ما يتعلق بحقّ الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبذكر المعصيتين إشارة إلى كلا النوعين من الذنوب ، فالزنا هو حقّ الله ، والسرقة هي حقّ العباد ، وصرح عن كليهما بأنه وإن اقترف شيئاً منهما فإنه يدخل الجنة ، فهذه الأحاديث تشهد بنجاته بعد الإقرار بالتوحيد والرسالة ، ولكن لا بدّ من موته على هذا الإقرار ، كما تدلّ عليه الأحاديث الآتية .

(٦) " من مات وهو يعلم أنه لا إله إلاّ الله دخل الجنة " (رواه مسلم ، وأحمد عن عثمان بن عفان رضي الله عنه) .

(٧) " من كان آخر كلامه لا إله إلاّ الله دخل الجنة " (رواه أبو داؤد) .

(٨) " من لقي الله وهو لا يشرك به شيئاً جعله الله في الجنة " (رواه أحمد) .

وجاء ذلك في صحيح البخاري بهذه الكلمة : " من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة " .

وقد دعا سيدنا معاذ بعض الناس عندما كان في سكرات الموت وحدَّثهم بهذا الحديث .

فملخص هذه الأحاديث أن من مات وهو على هذا الإيمان فله هذه البشارة ، ومن عاش مؤمناً ولم يمت على هذا فليست له هذه البشارة .

(٩) عن زيد بن خالد الجهني قال : أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبشر الناس أنه من شهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له فله الجنة . (عن زيد بن خالد الجهني) .

وينبغي لنا أن نفكر في كيفية التبشير بهذه الأحاديث والمراحل التي مرّت بها ، فكانت هذه البشارة في البداية خاصةً ببعض الناس ، ولم يبشر بها عامة الناس جميعاً ، لكنهم لما ازدادوا في الإيمان وفهموا حقيقة الدين أمر بأن ينادى بها في عامة الناس وأذن بذلك ، ولو ذهبنا نفكر في تلك الأحاديث لأدركنا معنى الشرك بها ، لأنه جاء في الحديث الثامن أن من لا يشرك بالله فهو من أهل الجنة ، وشرح في الحديث التاسع أن بشر بالجنة لمن اعتقد بقلبه أنه لا يستحق أحداً بالعبادة ، فاتضح أنّ الشرك هو عبادة غير الله تعالى .

(١٠) يا أباهريرة ! اذهب بنعليّ هاتين ، فمن لقيك من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة .

ورد في هذا الحديث الإعلان بالتبشير لأهل الجنة على العموم ، وقد أعطى عليه السلام نعليه لمن يعلن حتى يصدقه من رآه ، وبقي النبي عليه السلام حافي القدمين ، مما يدعونا إلى التأمل .

(١١) من شهد أن لا إله إلاّ الله مخلصاً دخل الجنة . (رواه الطبراني) .

سمع هذا الحديث من معاذ بن جبل رضي الله عنه أولاً أنس بن مالك رضي الله عنه ، فحضر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله عن ذلك فقال عليه السلام في نشاط وفرح : " صدق معاذ ، صدق معاذ ، صدق معاذ " ، وبما أن أنساً كان يتعجب من هذا الحديث ، فصدق النبي عليه السلام معاذاً ثلاث مرات .

(١٢) " من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإخلاصها أن تحجزه عما حرم الله " (رواه الطبراني عن زيد بن أرقم) .

والمحدثون وإن ضعفوه روايةً ولكن معناه صحيح كما يتضح مما يأتي .

وفي هذه الأحاديث الثلاثة قيّد النجاة بالإقرار بالتوحيد واليقين القلبي والإخلاص ، كما ستأتي أحاديث تقيدت بهذا القيد ، وورد هذا القيد بعناوين مختلفة ، مما يشير إلى أنّ الإقرار باللسان أو العلم به غير مفيد للنجاة ، بل لا بدّ من العلم به باليقين والإخلاص ، لأنّ الإقرار باللسان والعلم به دون اليقين والإخلاص فيه ، مثله مثل رجل يعلم عن الدواء وخواصه ، ولا يتناوله فلا ينفعه ، كذا الإقرار باللسان فحينما وقع اليقين في القلب وأخلص فيه فيعود عليه ذلك بأنه ينجيه من النار ويحفظه منها .

والجدير بالذكر هنا هو أنّ لليقين والإخلاص مراتب ودرجات ، ولكل درجة أثر دون ما لغيرها ، فكانت مثلاً مرتبة ليقين الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، الذي أثر تأثيراً كبيراً فيهم ، فالذين قرأوا

سيرهم يعلمون أنه قد سهل عليهم ترك الأهل والأولاد لله ولرسوله وفداء أنفسهم وأموالهم وأولادهم لله ولرسوله ، فقد نشروا الإسلام في الدنيا رغم قلة عددهم ، وإزاء ذلك إيماننا بحيث إننا سمعنا من آبائنا عن الدين فقبلنا ، ولكن ليس فيه من القوة ما تظهر به العجائب ، والفرق بين هذين النوعين من الإيمان . مثل ما هو بين الصورة والحقيقة ، وكذلك هناك إقرار بتوحيد أولياء الله ، فهم لا يرون شيئاً سوى الذات الواحدة له ، وقد اختلط التوحيد بلحومهم ودمائهم ، وهناك درجة من اليقين تدفع صاحبه إلى تدفق الإيمان من قلبه ، فلا يحبّ أن يسمع دليلاً على هذا فضلاً عن المطالبة به ، بل ينظر إليه نظرة ازدراء ، ويدفعهم ذلك إلى أنهم لا يصدر منهم شيئ يخالف حكم الله ورسوله ، ويكونون لهذه الذات المقدسة رهين إشارة وطوع أمر ، حتى لم تكن أنفسهم لتحدثهم بما يخالف ذلك إلا قليلا .

وربما يخطر ببالي أن إخواننا الذين يؤمنون إيماناً ظاهراً ليس من المستغرب أن ما أقول لغواً من القول أو هجراً من الكلام ، ولكننا نعذرهم ، لأن هذا يتعلق بالكيفية وهو الأمر الكيفي ، ولا يدرك هذا إلاّ من ذاق طعمه أو تملكته تلك الحالة ، أو يصدق ذلك فهو الذي يقرّ بأمثال هذا .

وهناك درجة من الإيمان تؤيد بالأدلة ، ويؤدي إلى ذلك أنه ربما يضعف وربما يقوى ، وبعض الأحيان يفارقه ، وذلك بأنه إذا واجه معارضاً بالمناظرة وهو ضعيف وهذا قوي فيغلبه ، وربما قوي خصمه بأن أورد وأثار شبهاً قوية ولم يستطع الردّ عليها فهذا يضعف ويعود بالضعف والشك في الإيمان ، ولو كان الخصم صاحب علم غزير أو يمتلك بناصية البيان وقوة الخطاب والبراعة فيه ، فإنه يذهب بإيمانه ويجعله هباءً منثوراً .

ثمّ نأتي إلى أمر آخر ، وهو أنه هل النجاة موعودة بنيل جميع مراتب الإيمان ودرجاتها أم المراد به درجة خاصة ، وهذا أمر مشكل ، ومن الصعب القطع فيه بشيئ ، فإنّ ما جاء في الأحاديث من كلمات تشير إلى الظفر بالنجاة بعد التصديق بالقلب ، ثم الرقي في درجات الإيمان يزيده درجات في الجنة ، والله أعلم .

(للحديث صلة)

عظمة النبي صلى اللّه عليه وسلم

(الحلقة الثالثة)

الشيخ السيد بلال عبدالحي الحسني الندوي

تعريب : الأخ نعمت اللّه قاسم الندوي

إمام الأنبياء والرسل :

ومن عظمة النبي – صلى اللّه عليه وسلم – أن اللّه تبارك وتعالى جعله إماماً لجميع الأنبياء والرسل ، فقد قام بإمامتهم بالمسجد الأقصى عندما عرج به إلى السماوات العلى . وقد صرح المفسرون بأن اللّه تبارك وتعالى نبّأ كل نبي من أنبيائه بإتيان نبيه محمد صلى اللّه عليه وسلم ، وأمره بأن يؤمن به إن شهد زمانه وسعد برؤيته أو لقائه ، قال اللّه تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ ميثاقَ ٱلنَّبِيِّيْنَ لَمَآ آتَيْتُكُمْ مِّنْ كتَاب وَحكْمَة ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمنُنَّ به وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُمْ مِّنَ ٱلشَّاهدينَ) [آل عمران : ٨١] .

وأمر كل نبي كذلك أن يوصي بذلك أتباعه وأنصاره ، ويلقنه من يأتي بعده . فقد جاء في القرآن : (وَإِذْ قَالَ عيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يٰبَنى إِسْرَائيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّه إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَاة وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتى مِن بَعْدِى ٱسْمُهُ أَحْمَدُ) [الصف : ٦] .

وقد قدّم اللّه سبحانه وتعالى نبيه الحبيب – صلى اللّه عليه وسلم – على الأنبياء الآخرين في الذكر . ونقدم هنا آيتين كريمتين على سبيل المثال . يقول تعالى : (وَإِذْ أَخَذْنَا منَ ٱلنَّبِيِّيْنَ ميثَاقَهُمْ وَمنْكَ وَمن نُّوحٍ وَإِبْرَاهيمَ وَمُوسَىٰ وَعيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا منْهُمْ مِّيثَاقاً غَليظاً) [الأحزاب : ٧] . ويقول : (إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّينَ من بَعْده ...) [النساء : ١٦٣] .

ومما يدل على عظمته كذلك أن اللّه سبحانه وتعالى قرن محبته باتباع نبيه الحبيب – صلى اللّه عليه سلم – فقال : (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحبُّونَ ٱللَّهَ

فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [آل عمران : ٣١] .

فأبان تعالى في الآية الشريفة أن من يريد منكم أن ينال محبة اللّه ، لا بد له أن يسلك مسلك النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ و يتبعه في كل شأن من شؤون الحياة .

ومن عِظم مكانة النبي – صلى اللّه عليه وسلم – أن اللّه تبارك وتعالى لم يناده باسمه ، بل دعاه قائلاً " يا أيها الرسول " حيناً ، وخاطبه مسمياً " يسين وطه " حيناً آخر .

" عن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه أنه قال في كلام بكى به النبي – صلى اللّه عليه وسلم – فقال بأبي أنت وأمي يا رسول اللّه : لقد بلغ من فضيلتك عند اللّه أنه بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم ؛ فقال : (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّيْنَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقاً غَلِيظاً) [الأحزاب : ٧] .

بأبي أنت وأمي يا رسول اللّه ! لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك و هم بين أطباقها يعذبون يقولون : (يٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا) [الأحزاب : ٦٦] (الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى ، الفصل السابع ، ص : ٨٥ ، ط : وحدة البحوث والدراسات ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٤هـ) .

تعظيمه في المعاملة والسلوك :

وكان من شأن عظمته ومقتضى محبته أن نعظمه ونوقره ، ولا نعامله كما نعامل الناس الآخرين . والصحابة الكرام – رضوان اللّه عليهم أجمعين – خير نموذج لنا في هذا الأمر ، فقد أحلوا عظمته بقلوبهم ، وأحبوه حباً لا نجد مثله لأحد في صفحات تاريخ البشرية ، وتشهد بذلك كثير من الأحداث . وقد شدّد القرآن الكريم كذلك على احترامه وتعظيمه حتى عدّ أدنى إساءة إلى شأنه كفراً . وقد خاطب اللّه سبحانه وتعالى أصحاب النبي صلى اللّه عليه وسلم قائلاً : (يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ

تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُواْ لَهُ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ) [الحجرات : ١ – ٢] .

وهذا الخطاب لم يوجه إلى الصحابة الكرام – رضي الله عنهم – فحسب ، إنما يشمل الأمة المحمدية بأسرها .

ومن أجل تمكين عظمة النبي – صلى اللّه عليه وسلم – من القلوب وترسيخه في الأذهان والعقول ، جمع الله سبحانه وتعالى في الآية الشريفة بين ذكر عظمته وذكر عظمة نبيه الحبيب – صلى الله عليه وسلم – ، وصرح بأن أكبر حق يجب أداؤه على المؤمن هو حق الله تعالى وحق رسوله – عليه الصلاة والسلام – ، وينبغي له أن يراعي ذلك في كل لحظة من لحظات الحياة . فلننظر أن هذا الخطاب وإن كان موجهاً إلى المؤمنين الأوائل ، وهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، كما يؤيد ذلك ما ذُكر في نزول هذه الآيات من الأحداث ، لكن من أصول ذوي العلم والفقه أن " العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب " يعني ذلك أن الاعتبار يكون بعموم الألفاظ من غير تخصيص الحكم بسبب معين أو بحدث خاص ، فالمعنى يشمل المسلمين جميعاً ، ويغشى الأزمان كلها ، لا يختص بزمن دون غيره و لا بأفراد بعينهم .

فينبغي للمسلم أن يفكر كثيراً قبل أن يقوم بعمل ، فلا يخضع لرغباته وشهواته ، ففي كل مرحلة من مراحل الحياة يجب على المؤمن أن يتأمل كثيراً عند اتخاذ قرار أن لا تكون عظمة أحد غير اللّه ونبيه متمكنةً من قلبه وأن لا يكون هوى النفس هو الدافع ، وأن لا يكون حب العادات والتقاليد قد احتل من قلبه مكاناً مما يُصعّب عليه التمسك بالعروة الوثقى واتباع شريعة اللّه وسنة نبيه صلى اللّه عليه وسلم .

وهذه الآية الشريفة إعلان صريح عام بأنه يجب على المؤمنين الصادقين أن يفضلوا حق الله تعالى وحق رسوله العظيم – صلى الله عليه وسلم – في كل ساعة من ساعات الحياة ، ويجعلوا أداءهما نصب أعينهم .

وإن الله سبحانه وتعالى جعل الاهتمام باحترام النبي – صلى الله

عليه وسلم – ومراعاة عظمته مقياس التقوى فأكد ذلك قائلاً " وَٱتَّقُواْ ٱللَّـهَ " فمن كان النبي – صلى اللّه عليه وسلم – في قلبه عظيماً ، سهل له الاتباع ، ورافق الإخلاص جميع أعماله .

ولابد كذلك لكل من الحب والعظمة والطاعة أن يكون بحقيقته لا بصورته فحسب ، فنبه قائلاً : إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ .

إساءة إلى النبي الكريم صلى اللّه عليه وسلم من مقدمات الكفر :

وقد أوضح ذلك جلياً بقوله : (يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُواْ لَهُ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ...) [الحجرات : ٢] .

ويعيد اللّه سبحانه وتعالى بهذه المناسبة في الآية التالية قوله : (يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ) ليتنبه المؤمنون ويعرفوا أن كل ما يقال في الآية جزء من الإيمان ، ولابد للمؤمنين أن يراعوا ذلك كله صيانةً لنعمة الإيمان التي مُنَّ بها عليهم ، فإن من سعد بالنعمة وعرف قيمتها لم يصعب عليه حفظها .

وما أجمله اللّه سبحانه وتعالى في الآية الأولى بعموم ، فصّله في الآية الثانية حتى يتجلى الأمر . . ورغم أن العرب كانوا يعتادون الجهر بالكلام ، أمرهم اللّه سبحانه وتعالى أن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوت نبيهم ، وجعل ذلك إساءةً إلى النبي الكريم – صلى اللّه عليه وسلم – حتى حذّر قائلاً : أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ .

فإذا كان الجهر بالكلام مع النبي صلى اللّه عليه وسلم إساءةً إلى شأنه فإن مخالفة أحكامه وتجنب اتباعه ، يعتبر أعظم إساءة إليه . بل رفض اللّه سبحانه وتعالى وجود الإيمان في من يخالف الرسول عليه الصلاة والسلام ويميل عن تحكيمه في قضايا الحياة ، فصرّح تعالى بذلك قائلاً : (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِيٓ أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً) [النساء : ٦٥] .

وتوفي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، ولكن تعاليمه ورسالاته باقية تستطيع هداية البشرية في كل زمن من الأزمان ، ولها في شخصية النبي عليه الصلاة والسلام أسوة تميز لها طريق الحق والإيمان من طريق

الضلال والظلام ، وهي جديرة بأن يُتأسى بها في كل زمان ومكان .

فعلى كل فرد من أفراد الأمة أن يعظم كل شيئ يتصل بشخصية النبي صلى الله عليه وسلم ، ويعتني به اعتناءً بالغاً .

فمن مقتضيات الإيمان والتقوى أن يحترم المسلمُ مسجد النبي – صلى الله عليه وسلم – ويخفض فيه صوته ويفضل تعاليمه على ميوله ورغباته وشهواته في كل لحظة من اللحظات ، وينبغي أن يهين في عينه كل شيئ دون حكم النبي – صلى الله عليه وسلم – ، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى اختاره رسولاً عظيماً وجعل طريقه سنةً دائمةً خالدةً تضمن سعادة كل طبقة من طبقات البشرية . . وإن عظمة الرسالة المحمدية في قلب المرء تبعثه على الطاعة والانقياد الذي هو مجبول عليه ، فكل امرئ يطيع ، وطاعته تنجيه أو ترديه ، أما الذي يقصر طاعته على اللّه ورسوله فهو على سواء الصراط . ثم حذر اللّه تعالى من عاقبة سوء الأدب مع نبيه فقال : أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ .

فتبين أن هذه الإساءة من الجهر بالكلام ورفع الصوت فوق صوت النبي – عليه الصلاة والسلام – يتسبب في ضياع جميع الأعمال الصالحة وإنما يكون ضياع الأعمال بعد الكفر والشرك ، فيعني ذلك أن رفع الصوت والجهر بالكلام وإن لم يكن من الكفر الفاحش ، لكن هذا من تلك الأعمال الشنيعة النكراء التي توصل من يمارسها إلى الكفر والشرك .

فالإساءة ولو كانت تبدو هينةً في عين صاحبها ، ولكنها تنمو وتربو في قلبه متدرجةً وتدنو به من حدود الكفر ثم تخرج به من حظيرة الإسلام إلى متاهات الظلام . وإلى ذلك أشار فقال : (وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ) .

فإن ذلك يحدث تدريجياً وتضيع أعمال الإنسان وهو لا يشعر بخطورة ما يقوم به .

فعلينا أن نستعرض أحوالنا ونفكر في أعمالنا ونتأمل أفكارنا ونظراتنا ، ولا نفضل شيئاً في عمل من أعمالنا على أحكام الرسول عليه الصلاة والسلام في ساعة من ساعات الحياة .

(للحديث صلة)

اللهم قد بلغت ، اللهم فاشهد

(الحلقة الأولى)

الدكتور أشرف شعبان *

منذ نعومة أظافرنا ، ونحن نرى أجدادنا وآباءنا ، وهم يدعون في صلواتهم وفي غير صلواتهم على اليهود ، وسرنا على خطاهم حتى وقت قريب ، وطوال هذه العقود اكتفينا نحن بالدعاء ، أما اليهود فازدادوا قوةً وتمكيناً في أرضنا التي احتلوها ، حيث تحولوا من جاليات مشردة مضطهدة في كثير من دول العالم إلى دولة ذات سيادة وشأن عالمي ، كما تحولوا من ميليشيات وعصابات مسلَّحة تهاجم الآمنين من الفلسطينيين وتستولي على ممتلكاتهم وأراضيهم إلى جيش من أقوى جيوش العالم . وذلك لأن دعاءنا كان يشبه دعاء الطالب ، الذي لا يجتهد في تحصيل العلم ، فلا يذهب للمدرسة أو للجامعة لتلقيه ، ولا يستمع لشرح المناهج والدروس من أساتذة أو مدرسين ، ولا يطلع على المراجع أو الكتب المقررة في تبيان المنهج ، وسواء ذهب للامتحان أو لم يذهب ، فهو عاكف طول العام ليله ونهاره على الدعاء بالنجاح . بينما المتأمل في الآيتين ٢٥٠ – ٢٥١ من سورة البقرة ، الذي قال فيهما سبحانه وتعالى : (وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنْصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ . فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ ٱللَّهِ) ، يجد أن الدعاء جاء بعد البروز والظهور للعدو ، أي بعد مواجهته وجهاً لوجه في ميدان المعركة ، والدعاء كان بطلب الصبر وتثبيت الأقدام عند ملاقاة العدو وأثناء اشتعال المعركة ، ويختم الدعاء بطلب النصر ، ثم تأتي النتيجة فهزموهم بإذن الله ، أي غلبوهم وقهروهم بنصر الله لهم . كما قال تعالى في سورة البقرة آية ١٨٦ : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي

* جمهورية مصر العربية .

وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) ، فمن دعا ربه بقلب حاضر ، ودعاء مشروع ، ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء ، كأكل الحرام ونحوه ، فإن الله وعده بالإجابة ، وخصوصاً إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء ، وهي الاستجابة لله بالانقياد لأوامره ونواهيه والإيمان به .

الأمر بإعداد القوة وتوجيهها في الاتجاه الصحيح :

ومن أوامر الله : إعداد القوة ، قال تعالى : (وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَّا ٱسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّة وَمِن رِّبَاط ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ ٱللَّه وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) [الأنفال : ٦٠] ، أي أعدوا يا معشر المسلمين كل ما تقدرون عليه ، من عدة وعتاد ، لمواجهة أعدائكم ، ولتدخلوا بذلك الرهبة في قلوبهم ، ولتخيفوا آخرين لا تظهر عداوتهم لكم ، ولكن الله يعلمهم ويعلم ما يضمرونه لكم . ومن سبل إعداد القوة امتلاك السلاح بأنواعه المختلفة سواء بتصنيعه أو شرائه ، ومن المعلوم ارتفاع معدل شراء الدول الإسلامية للسلاح ، مما يأتي بدول كالسعودية وقطر ومصر ضمن أكبر عشر دول استيراداً للسلاح في العالم ، كما أن لدولنا الإسلامية جيوشاً يعتد بها ، وتعتبر من مصاف جيوش العالم ، فوفقاً لتصنيفات القوة العالمية ، تتقدم جيوش تركيا وباكستان وإندونيسيا وإيران ومصر على جيش العدو الإسرائيلي ، وعلى الرغم من ذلك وعلى مدار العقود الخمس السابقة ، وبالتحديد منذ نهاية حرب ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣م ، لم تدخل دولة من الدول العربية حرباً ضد إسرائيل ، ولم توجه أي منها نيران أسلحتها تجاهها ، ولكن فتحت نيرانها بغزارة ، واستخدمت كافة أسلحتها بكثافة ، في إجهاض الانتفاضات والثورات ، التي تقوم بها الشعوب ضد الديكتاتوريين من الحكام ، أي استخدمت لردع الشعوب ، كما استخدمت ضد دول عربية أو إسلامية شقيقة . أي أننا أطعنا أمر الله في إعداد القوة ، ولكننا لم نطعه في توجيه القوة ، فبدلاً من توجيهها ضد أعداء الله وأعدائنا في الدين ، وجهناها ضد إخوة لنا في الدين أو شركاء لنا في الوطن .

وعلى سبيل المثال في سوريا ما زالت مرتفعات الجولان ، محتلةً من العدو الإسرائيلي ، والتي سبق أن احتلها في حرب يونيو ١٩٦٧م ، وقد

أصبحت جزءاً من دولة إسرائيل ، منذ الرابع عشر من ديسمبر عام ١٩٨١م حيث ضمتها إسرائيل رسمياً لها . فضلاً عن أن أي اعتداء من العدو الإسرائيلي على الأراضي السورية ، يقابل من النظام السوري بالاحتفاظ بحق الرد في الوقت المناسب ، والذي لم يحن ميعاده بعد منذ أكثر من نصف قرن . وعلى الرغم من أن النظام السوري لم يطلق طلقةً واحدةً تجاه المحتل طوال العقود السابقة ، لكنه أطلق نيران أسلحته على الثوار العزَّل ، أبناء الشعب السوري ، عندما قاموا بثورتهم ضد النظام في عام ٢٠١١م ، حيث استخدم كل أنواع الأسلحة لديه ، المدفعية والرشاشات الثقيلة ، والطيران والأسلحة الكيماوية والحارقة ، والذخائر العنقودية وصواريخ سكود ، وقذائف هاون ، وراجمات صواريخ محملة برؤوس كيماوية ، والبراميل المتفجرة التي تحشى بمواد معدنية ، ومواد متفجرة ترمى من المروحيات ، واستهدف كافة المنشآت المدنية من منازل ومدارس ومؤسسات مجتمع مدني ومستشفيات وأسواق شعبية وغيرهم ، وأحدث مجازر كبيرةً يندي لها الجبين في حق الآدميين ، فضلاً عن اعتقال الناجين وتعذيبهم وتشريد الفارين ، كما استعان النظام السوري بمقاتلين يقاتلون إلى جانبه من العراق ولبنان وإيران وأفغانستان ، وكما ساهمت إيران في دعم النظام السوري على عدة مستويات ، دعمته روسيا أيضاً ثم تطور الأمر لتشارك معه عسكرياً في حرب النظام السوري ضد أبناء الشعب السوري .

الجيش العراقي في ثمانينيات القرن الماضي ، كان رابع أقوى جيش في العالم ، لم يوجه لإسرائيل أي من نيران أسلحته ، باستثناء بعض الصواريخ التي أطلقها ، باتجاه أهداف داخل إسرائيل ، عند بدء حرب الخليج الثاني لغرض معين ، بل وجه نيران أسلحته إلى إيران ، في حرب استمرت لمدة ثماني سنوات ، خلفت وراءها خسائر ماديةً وبشريةً للطرفين وانتهت بلا انتصار لأي منهما ، وبعد ما يقرب من عامين من انتهاء حربه ضد إيران ، قام النظام العراقي باجتياح الكويت ، مما تسبب في الغزو الأمريكي للعراق ، وتدميره ليصل إلى ما وصل إليه الآن ، كما وجه أسلحته لمواجهة الأكراد وهم جزء من الشعب العراقي . السودان يستخدم

السلاح فيها الآن في حرب أهلية بين قوات الدعم السريع وبين الجيش السوداني ، والضحايا أولاً وأخيراً سودانيون ، ومن قبل دارت الحروب بين السودانيين حتى انفصال جنوب السودان عن شماله . وفي ليبيا يدور صراع بين حكومة الوفاق الوطني ، وبين الجيش الليبي بقيادة حفتر ، ووراء كل طرف مجموعة من الدول تساعده وتغذي نيران الحرب بينهما ، وانقسم الشعب الليبي فيما بينهما ، لتصير حرب أهلية ، يستخدم السلاح فيها بين أبناء الشعب الليبي ، والضحايا أولاً وأخيراً ليبيون ، ومن قبل في ثمانينيات القرن الماضي دارت رحى الحرب بين ليبيا وتشاد . وفي اليمن تجرى عمليات عسكرية ، يقوم بها ائتلاف مكون من عدة دول بقيادة السعودية ، الخاسر فيها الشعب اليمني سواء كانوا سنةً أو شيعةً . والدول التي لم تستخدم ما لديها من سلاح فيما سبق ، إن لم يتم بيعه لدول أخرى ، فهو مكدس في المخازن ، ويظهر كل يوم ما هو أحدث منه وأكفأ . ولصفقات السلاح فوائد تعود على أصحاب المعالي رؤساء وحكام وأمراء الدول ، فهي لتقديم فروض الولاء والطاعة لدول المشترى منه السلاح ، وصك ضمان لبقاء واستمرار هؤلاء الحكام في مناصبهم ، وأخيراً العمولات التي يستفيد منها تجار السلاح بيع وشراء وسماسرته .

الأمر بقتال من قاتلنا :

ومن أوامر الله : قوله تعالى : (وَقَاتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ) [البقرة : ١٩٠] ، أي وقاتلوا أيها المؤمنون الذين يقاتلونكم . وقوله تعالى : (وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُم وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ) [البقرة : ١٩١] ، أي واقتلوا الذين يقاتلونكم وأخرجوهم من المكان الذي أخرجوكم منه ، وهذا أمر بقتالهم أينما وجدوا في كل وقت وفي كل زمان قتال مدافعة وقتال مهاجمة . وقوله عز وجل : (فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ) [البقرة : ١٩٤] ، أي من اعتدى عليكم بالقتال ، قابلوه بمثل ما اعتدى عليكم . وقوله : (وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَانِ) [النساء : ٧٥] ، أي وما لكم أيها المؤمنون لا تقاتلون في سبيل الله وفي سبيل المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، الذين قد استضعفهم الكفار ، فاستذلوهم ابتغاء

فتنتهم ، وصدهم عن دينهم . كما من الآيات ما تأمرنا بقتال الكفار والمشركين كقوله تعالى : (يا أَيُّهَا ٱلَّذينَ آمَنُواْ قَاتلُواْ ٱلَّذينَ يَلُونَكُمْ مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجدُواْ فيكُمْ غلْظَــةً) [التوبة : ١٢٣] ، أمر الله تعالى المؤمنين بقتال من يجاورهم من الكفار ، لما يسببون من خطر على المؤمنين بسبب قربهم ، وأمرهم كذلك أن يظهروا قوة وشدة من أجل إرهابهم ودفع شرهم . وقوله عز وجل : (وَقَاتلُواْ ٱلْمُشْركينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتلُونَكُمْ كَآفَّةً) [التوبة : ٣٦] ، أي قاتلوا جميع أنواع المشركين والكافرين برب العالمين ، ولا تخصوا أحداً منهم بالقتال دون أحد ، أي كما يجتمعون لحربكم إذا حاربوكم ، فاجتمعوا أنتم أيضاً لهم إذا حاربتموهم ، وقاتلوهم بنظير ما يفعلون ، والمثل الظاهر أمامنا هو تعاون بعض دول الغرب الصليبي مع الكيان اليهودي وبعض قادة الدول العربية لمحاربة المقاومة الإسلامية في غزة ، ألم تستدعي هذه الأحداث تطبيق الآية وتقاتلوهم كافةً كما يقاتلونا كافةً . وقوله سبحانه وتعالى في سورة التوبة آية ٢٩ : (قَاتلُواْ ٱلَّذينَ لاَ يُؤْمنُونَ بٱللَّه وَلاَ بٱلْيَوْمِ ٱلآخرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدينُونَ دينَ ٱلْحَقِّ منَ ٱلَّذينَ أُوتُواْ ٱلْكتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجزْيَةَ عَن يَد وَهُمْ صَاغرُونَ) ، وهذا أمر من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين بقتال أهل الكتاب ، وهم اليهود والنصارى ، لأنهم لا يؤمنون بالله ولا يؤمنون باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرمه الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق ، دين الإسلام الناسخ لغيره من الأديان ، حتى يعطوا الجزية عن طوع وانقياد ، فإن فعلوا ذلك فاتركوا قتالهم . وقوله تعالى : (وَقَاتلُوهُمْ حَتَّىٰ لاَ تَكُونَ فتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للَّه فَإن ٱنْتَهَوْاْ فَإنَّ اللَّهَ بمَا يَعْمَلُــونَ بَصيرٌ) [الأنفال : ٣٩] ، أي قاتلوا أيها المؤمنون ! أعداءكم من الكفار ، حتى لا يكون شرك ، ولا صد للمسلمين عن دين الله ، وأن تستمروا في قتالهم حتى تزول صولة الشرك ، وحتى تعيشوا أحراراً في مباشرة تعاليم دينكم ، دون أن يجرأ أحد على محاولة فتنتكم في عقيدتكم أو عبادتكم . وقوله عز وجل : (ٱلَّذينَ آمَنُواْ يُقَاتلُونَ فى سَبيلِ ٱللَّه وَٱلَّذينَ كَفَــرُواْ يُقَاتلُونَ فى سَبيلِ ٱلطَّاغُوت فَقَاتلُواْ أَوْلَيَاءَ ٱلشَّيْطَان إنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَان كَــانَ ضَــعيفاً) [النساء : ٧٦] ، الذين صدقوا في إيمانهم اعتقاداً وعملاً ، يجاهدون في سبيل نصرة الحق وأهله ، والذين كفروا يقاتلون في سبيل البغي والفساد

في الأرض ، فقاتلوا أيها المؤمنون ! أهل الكفر والشرك ، الذين يتولون الشيطان ويطيعون أمره . وقوله سبحانه وتعالى : (وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَاتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ) [التوبة : ١٢] ، أي وإن نقضوا العهود التي أبرمتموها معهم ، وأظهروا الطعن في دين الإسلام ، عابوا دينكم وانتقصوا منه ، فقاتلوهم أي قاتلوا القادة فيهم ، الرؤساء الطاعنين في دين الله ، الناصرين لدين الشيطان ، وخصهم بالذكر لعظم جنايتهم ، ولأن غيرهم تبع لهم . ومثل هذه الآيات في عموم نصوصها ، تخاطب كافة المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها ، وأمة الإسلام أجمع ، لا تستثني منها بعيداً أو قريباً ، ولا عربياً أو أعجمياً ، تحثنا نحن المسلمين على قتال من يقاتلنا ورد اعتدائه واسترداد ما سلب منا ، من أراض وممتلكات ، بل ونجدة المستضعفين ، في كل بقاع الأرض ، يتعرضون للاضطهاد والتعنت ، بل والتشرد والتهجير من ديارهم ، ويصرخون ويستنجدون بإخوانهم المسلمين ، ولكن لا حياة لمن تناجي .

وقتال الكفار وصد عدوانهم ، واجب كفائي ، فإنه إذا حصل من يقوم به ، وكان به الكفاية ، سقط عن المكلفين الباقين ، وإلا وجب على جميع المسلمين ، ممن لهم القدرة على حمل السلاح . فالوجوب على سبيل الكفاية ، فإذا اندفع الشر ببعض المكلفين ، حصل الغرض ، وبحصوله يسقط الفرض عن الآخرين ، ويتأكد الوجوب على المكلفين كلما كانوا من المرابطين والأقربين للكفار المعتدين . أما الدفاع لطرد الكفار عن بلدان المسلمين ، وقراهم وأراضيهم ، وإخراجهم منها بعد التسلط عليها ، وبمعنى آخر عندما يجتاح العدو الكافر بلاد المسلمين بهدف الاستعمار والاستيلاء ، بأي نحو سواء كان استيلاءً فكرياً أم اقتصادياً أم عسكرياً أم سياسياً ، وجوب هذا النوع من الدفاع فرض عين ، فيجب على المسلمين كافةً أن يتركوا عيالهم وأطفالهم وأموالهم ويدافعوا لطرد أعداء الله ، ولا يثبطن بعد الديار عن البلد الذي دهم من قبل أعداء الإسلام ، عن هذا الفرض العيني ، فإن الواجب على القاصي والداني أن يحمل السلاح ، مادام قادراً على حمله ، والأقربين من الأرض التي انتهكها الكافرون أولى من غيرهم لقربهم من الأعداء . كما أجمع

علماء الإسلام على من ظاهر الكفار على المسلمين وساعدهم عليهم بأي نوع من المساعدة فهو كافر مثلهم ، وفي سنن ابن ماجه قال النبي عليه الصلاة والسلام : " من أعان على قتل مؤمن ولو بشطر كلمة لقي الله عز وجل مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله " ، وإذا غزا العدو أرض مسلمة وجب على أهلها جميعاً الدفاع عنها وإن لم تكن لهم القدرة وجب على سائر المسلمين مساعدتهم وإمدادهم بالعدة والعتاد لمجابهة هذا العدو ، وفي مسند أحمد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من أعان مجاهداً في سبيل الله أو مكاتباً في رقبته أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله " .

تفرق الأمة تجاه قضايانا المشتركة :

وما يحزننا ونتأسف عليه هو انقسام أبناء الوطن الواحد ضد المحتل ، فالشعب الفلسطيني اليوم منقسم بين فتح وحماس ، بين محمود عباس وإسماعيل هنية ، بين مستسلم للمحتل ومقاوم له ، وهكذا أي شعب تحتل أرضه ، نجد جزءاً منه يؤيد المستعمر ويدور في فلكه ، وآخر يضحي بالغالي والنفيس من أجل جلاء المستعمر وتحرير بلده ، ومن باب أولى أن يكون الفلسطينيون على قلب رجل واحد ، قبل أن نطالب الأمة الإسلامية بذلك . فكيف يهب أبناء الوطن العربي ، للدفاع عن أهل غزة ، وشركاؤهم في الأرض على بعد خطوات منهم ، إن لم يكونوا مشاهدين متفرجين فقط ، فهم متربصون بأهل غزة وحماس ، مثلهم مثل العدو ، وبعض حكام الدول ممن يتمنون القضاء على أذرع المقاومة الإسلامية ، ليس فقط في فلسطين ، ولكن في كل بقاع الأرض . فهل هذا هو قدر حماس وسائر رجال المقاومة ؟ وهل هم ما جاء فيهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك ، قالوا : يا رسول الله ! وأين هم ؟ قال : ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس " .

وغزة الآن تتعرض لإبادة شعبها ، تحت ذريعة القضاء على أذرع المقاومة الإسلامية ، وغزة التي تقاعس سائر أهل فلسطين عن مناصرتها هي من الأمة الإسلامية ، التي قال فيها الله تعالى : (إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّـةً

وَاحِدَةً وَأَنَاْ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء : ٩٢] ، والاعتداء عليها يعني الاعتداء على كل المسلمين ، قال صلى الله عليه وسلم : " المسلمون يد على من سواهم " ، أي كأنهم يد واحدة في التعاون والتناصر على الأعداء ، وهذا هو اللائق بحالهم ، أن يعاون بعضهم بعضاً ، كأن أيديهم أصبحت يداً واحدةً ، وفعلهم أصبح فعلاً واحداً . وقال عليه الصلاة والسلام : " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربةً فرج الله عنه كربةً من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة " [رواه البخاري] ، قال ابن حجر : ولا يسلمه . أي لا يتركه مع من يؤذيه ولا فيما يؤذيه بل ينصره ويدافع عنه . قال ابن عثيمين : قال العلماء : يجب على الإنسان أن يدافع عن أخيه في عرضه وبدنه وماله . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً " ، وها هم إخواننا في غزة مظلومين ألا نجيب دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام وننصرهم ؟! . وقال عليه الصلاة والسلام : " ما من امرئ يخذل امرأً مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يجب فيه نصرته ، وما من امرئ ينصر امرأً مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يجب فيه نصرته " .

وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : " من أذل عنده مؤمناً فلم ينصره وهو قادر على أن ينصره أذله الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة " ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم ، ومن سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم " . وبينما يأمرنا ديننا الحنيف بمناصرة أهل غزة ، وإمدادهم بما يحتاجونه ، لمواصلة جهادهم ضد العدو الإسرائيلي ، ولا نفعل نحن ذلك ، نجد عدة دول مختلفة الجنسيات ، ومع اختلاف ديانتهم ، عن ديانة العدو اليهودي ، لا يتوانون لحظةً عن إمداده بكل ما يحتاجه وما لا يحتاجه ، من معلومات استخباراتية ومؤن وعدة وعتاد ، كفرنسا وألمانيا وإيطاليا وانجلترا وأمريكا وغيرهم ، وهناك من

الدول العربية التي تظهر بموقف الحياد لعلاقاتها مع إسرائيل كمصر ولبنان والأردن والإمارات والمغرب والسودان والسلطة الفلسطينية . وعلى الرغم من دولة إسرائيل استجلبت إليها يهود من دول العالم أجمع ، ومع اختلاف جنسياتهم ، لكنهم ذابوا جميعاً في المجتمع اليهودي ، وتم تجنيدهم في الجيش ، حيث يخدم في الجيش الإسرائيلي مجموعة متنوعة من الطوائف والأديان وجميعهم من حملة الجنسية الإسرائيلية ، كما هناك مرتزقة من عدة دول ، وهناك مقاتلو الجنسية المزدوجة ، كلهم يشاركون في الحرب على غزة ، من دول كروسيا وأوكرانيا وفرنسا وبريطانيا وأمريكا وجنوب أفريقيا . وهذا هو عهدهم بالدول الإسلامية ، فمن قبل شاركت عدة دول في الحروب الصليبية ضد العالم الإسلامي ، منها انجلترا وفرنسا البرتغال والنمسا والمجر وغيرهم ، وبالأمس القريب شاركت مجموعة دول في حرب الخليج والحرب على أفغانستان ، فهناك من هذه الدول ما هو على استعداد دائم وتام في المشاركة في أي حرب ضد أي دولة إسلامية .

وليست العبرة بالكثرة العددية ، قال تعالى : (كَم مِّن فِئَة قَلِيلَة غَلَبَتْ فِئَة كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّه) [البقرة : ٢٤٩] ، ولكن في حساباتنا البشرية يجب علينا عمل حساب ، أن الكثرة تغلب الشجاعة ، كما أن الآيات بينت لنا في حالة الضعف يمكن للمؤمن أن يقاتل اثنين ، قال تعالى : (ٱلآنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُنْ مِّنكُمْ مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّه وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ) [الأنفال : ٦٦] ، أي الآن خفف الله عنكم أيها المؤمنون ، لما علمه من ضعفكم ، فأوجب على الواحد منكم ، أن يثبت أمام اثنين من الكفار بدل عشرة منهم ، ورخص لهم في الفرار إذا كان العدو أكثر من اثنين ، والتشديد على الصبر لأن النصر لا يأتي حين بدء المعركة ، ولكنها تمتد وتكون سجال حيناً على هذا الفريق وحيناً على أولئك . وقد أجمع علماء الإسلام على من ظاهر الكفار على المسلمين ، وساعدهم عليهم ، بأي نوع من المساعدة ، فهو كافر مثلهم ، وفي سنن ابن ماجه ، قال النبي عليه الصلاة والسلام : " من أعان على قتل مؤمن ولو بشطر كلمة لقي الله عز وجل مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله " .

(للحديث بقية)

الهجرة النبوية : حادث في التاريخ كبير

الأستاذ محمّد عرفات عبيد الله الوانميلي *

الهجرة صفحة تاريخية أثرت تأثيراً قوياً في فشو الملة الحنيفية السمحة وإبرازها بين الخلائق مع استدراك العزة والهمة ، فلا ينبغي للمسلم مداومة ذكراه واستذكار دعواه في شدائد حياته الدينية والدنيوية ، واسترجاع مقاديره ومهاراته في الخدمات العلمية والدعوية لنشر دين الله الإسلام .

حينما نطّلع على مثار تاريخ الهجرة ، نعرف أنه قد كان تعامل المشركين مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام بالمظالم الصعبة والمشاكل المختلفة لفتح باب الهجرة للمسلمين ، حيث أدت بالصحابة رضي الله عنهم إلى هجرة من بلدهم الأم مكة إلى الحبشة دار النجاشي والنصارى أولاً ثم إلى يثرب دار الأنصار واليهود ثانياً .

ولما كثر عدد الصحابة وأسلم عديد من قبائل مكة ويثرب ، اشتد ضرر المشركين حيث أخذوا يعذبونهم بأنواع المحن ويفتنونهم بأنواع الفتن ، حتى قادهم ذلك إلى تآمر جديد لإعدام النبي صلى الله عليه وسلم في جوف الليل ، وذلك لما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اجتمع معه أصحاب وأنصار في المدينة ولا سلطان لهم عليه ، تخوّفوا من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى يثرب ، وعرفوا أنه إذا كان ذلك فلا حيلة لهم فيه ، فاجتمعوا في دار الندوة [1] ، وتشاوروا فيما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واجتمع فيها أشراف قريش .

حتى أجمعوا على أن يؤخذ من كل قبيلة فتى شاب ذو شجاعة وجلادة في ذلك الأمر ويقتل هؤلاء النبي صلى الله عليه وسلم في ظلم

* كالكوت ، كيرالا ، arafathkp٣٠@gmail.com

[1] هي دار قصي بن كلاب ، وكانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها .

الليل ، ويضربوه ضربةَ رجلٍ واحدٍ ، فحينئذ يتفرق دمه في القبائل جميعاً فلا بأس به ، حتى تفرقوا .

ولكن أخبر الله تعالى رسوله بهذه المؤامرة ، فأمر عليّاً رضي الله عنه أن ينام على فراشه حتى خرج من بيته ينثر التراب في أعينهم وهم يطوفون البيت بنصرة الله تعالى ، ولما أصبحوا رأوا علياً نائماً على فراشه ، وقال فيهم قائل : خرج محمد ! ، فانقلبوا خائبين .

تخطيط النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه للهجرة :

ولما تمت العقبة الثانية وإسلام ثلاثة وسبعين رجلاً من قبائل يثرب الأوس والخزرج ، بايع هذا الوفد من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتبعه في بلادهم ، أوى إليهم عدد من المسلمين ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والتهيؤ للهجرة بأموالهم وأنفسهم واللحوق بإخوانهم من الأنصار ، وقال : " إن الله عز وجلّ قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها " ، فخرجوا أرسالاً [1] .

وذلك كان في سنة ٦٢٢م وبعد ١٤ سنة بعد البعثة ، والنبي صلى الله عليه وسلم في الثالث والخمسين من عمره ، ولم تكن الهجرة سهلةً لهم ، لأن قريشاً لما سمعوا عنها وضعوا عقبات ونثروا أشواكاً في طريقهم إلى المدينة ، وامتحنوا المهاجرين بأنواع المحن كما عاملوا مع أبي سلمة رضي الله عنه في هجرته ، وأكثرهم تركوا أموالهم لدين الله كما فعل صهيب الرومي رضي الله عنه ، منعه قريش من أخذ ماله فقال لهم : " أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي ؟ " ، قالوا : " نعم " ، قال : " إني جعلت لكم مالي " ، وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " ربح صهيب ، ربح صهيب " [2] .

وهاجر الصحابة رضي الله عنهم وفداً وفداً ، منهم عمر بن الخطاب ، وطلحة ، وحمزة ، وزيد بن حارثة ، وعبد الرحمن بن عوف ،

---

[1] البداية والنهاية لابن كثير نقلاً عن ابن هشام ، ص ٢٢٣/٢ .

[2] سيرة ابن هشام ، ص ٤٧٠ – ٤٧٩ .

والـزبير بـن العـوام ، وأبـو حذيفـة ، وعثمـان بـن عفـان وآخـرون رضـي اللّه عنهم أجمعين ، وتتابعت الهجرة يوماً بعد يوم ، ولم يتخلف مع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بمكة غير من حبس وفتن ، وإلا علي بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة رضي اللّه عنهما [1] .

حتى جاء رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إلى أبي بكر رضي اللّه عنه ، فقال له : " إن اللّه قد أذن لي في الهجرة " ، فقال : " الصحبة يا رسول اللّه " ، فقال : " الصحبة " ، وبكى أبو بكر رضي اللّه عنه من الفرح ، وقدم أبو بكر راحلتين كان قد أعدَّهما لهذا السفر ، واستأجر عبد اللّه ابن أريقط ليدلهما على الطريق .

فالهجرة علمت الأمة المحمدية حركة دينية ودعوية حيث توصلهم إلى أن يتركوا أحبابهم ومنازلهم ومناصبهم لدين اللّه ، فما وقع لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، حيث كانت الكعبة المشرفة التي هي أحب إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم وأصحابه مما سواها في مكة ، وفيها مسكنهم وأهل بيتهم وضاقت الأرض بما رحبت للتمسك بهذه الملة الحنيفية والتحمل بعضّ النواجذ لمثل هذه الشدائد والمحن ، ويدل على ذلك قوله صلى اللّه عليه وسلم مخاطباً لمكة وقت الهجرة : " ما أطيبك من بلد وأحبّك إليّ ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك " [2] .

وخرج رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وأبو بكر رضي اللّه عنه للهجرة ، وكان في رهطه أربعة رجال ، هم رسول اللّه ، وأبو بكر الصديق ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وعبد اللّه بن أريقط دليلهما [3] ، ولما خرج من مكة ، وصلا غار ثور ودخلا فيه ، وأخذا يختفيان فيه من وصول المشركين إليهما ومكثا فيه ثلاث ليال ، فعلى هذا ، أمر أبو بكر ابنه عبد اللّه بن أبي بكر أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر ابن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يريحها عليهما إذا أمسى في

---

[1] سيرة ابن هشام ، ص ٤٧٠ – ٤٧٩ .

[2] رواه الترمذي عن ابن عباس مرفوعاً في باب فضل مكة .

[3] البداية والنهاية لابن كثير ، ص ١٧٩/٣ .

الغار ، وكانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما .

خريطة الهجرة من مكة إلى يثرب :

وقد سبق الصحابة بالهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ، حتى سافروا إلى يثرب من حيث استطاعوا من الطرق والأودية ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه تأخرا عنهم حيث قادهما عبد الله بن أريقط دليلهما ، فسلك بهما أسفل مكة ثم مضى بهما على الساحل (حتى عارض الطريق) أسفل من عُسْفان [1] ثم سلك بهما على أسفل أَمْج [2] ثم استجاز بهما حتى عارض بها الطريق بعد أن أجاز قديداً ثم من مكانه ذلك ، فسلك بها الخرّار [3] ، ثم سلك بهما ثنية المرة ، ثم سلك بهما لقفا [4] .

ثم أجاز بهما مدلجة لقف ثم استبطن بهما مرجح مجاج [5] ، ثم تبطن بهما مرجح من ذي الغضوين ثم بطن ذي كشر [6] ، ثم أخذ بهما على الجداجد [7] ، ثم على الأجرد [8] ، ثم سلك بهما ذا سَلَم [9] ، من بطن

---

[1] عسفان منهلة من مناهل الطريق ، الطريق بين الجحفة ومكة (معجم البلدان لياقوت الحموي ، ص ١٢١/٤) .

[2] أمج بلد من أعراض المدينة منها حميد الأمجى (معجم البلدان ، ص ٢٤٩/١) .

[3] الخرار موضع بالحجاز يقال : هو قرب الجحفة وقيل : واج من أودية المدينة وقيل : ماء بالمدينة (معجم البلدان ، ص ٣٥٠/٢) .

[4] لقفا هي ثنية بين مكة والمدينة (معجم البلدان ، ص ٢١/٥) .

[5] قال ياقوت ، وقد ذكر هاتين الروايتين : " والصحيح عندنا فيه غير ما رويناه ، جاء في شعر ذكره الزبير بن بكار ، وهو مجاح ، بفتح الميم ثم جيم وآخره حاء . والشعر هو :

لعن الله بطن لقف مسيلا ومجاحا وما أحب مجاحا
لقيت ناقتي به وبلقف بلدا مجدبا وأرضا شحاحا

[6] في الأصول : " كشد " ، وهو تحريف . (راجع معجم البلدان) .

[7] الجداجد قال ياقوت : يجوز أن يكون جمع جدجد وهي البئر القديمة (معجم البلدان ، ص ١١٢/٢) .

[8] اسم جبل في جهينة بين المدينة والشام (معجم البلدان ، ص ١٠٢/١) .

[9] واد ينحدر على الذنائبن والذنائب في أرض بني البكاء على طريق البصرة (معجم البلدان ، ص ٢٤٠/٣) .

أعداء مدلجة تِعْهِن [1] ، ثم على العبابيد .

ثم أجاز بهما الفاجة ، ثم هبط بهما العرج ، وقد أبطأ عليهما بعض ظهرهم ، فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أسلم ، يقال له : أوس بن حجر ، على جمل له يقال له : ابن الرداء إلى المدينة ، وبعث معه غلاماً له ، يقال له : مسعود بن هنيدة ، ثم خرج بهما دليلهما من العرج ، فسلك بهما ثنية العائر ، عن يمين ركوبة – ويقال . ثنية الغائر ، فيما قال ابن هشام – حتى هبط بهما بطن رئم ، ثم قدم بهما قباء ، على بني عمروبن عوف ، لاثتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين ، حين اشتد الضحاء ، وكادت الشمس تعتدل [2] .

وبعد هذا السفر الطويل والعناء المديد ، ولم يزل يسلك بها الدليل عبد الله بن أريقط طريقاً بعد طريق ، حتى قدم بهما " قباء " وهي في ضواحي المدينة ، ووصل رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطه المدينة المنورة ، وذلك في الثاني عشر من ربيع الأول ، يوم الاثنين ، فكان مبدأ التاريخ الإسلامي .

النصرة الإلهية أثناء الهجرة النبوية :

أول نصرة إلهية فاز بها النبي صلى الله عليه وسلم خروجه من بيته الذي حفّه الأعداء بالأسلحة وهو في البيت ليقتلوه بنثر التراب عليهم ، ولذا أنزلت آية (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْيَقْتُلُوكَ أَو يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [سورة الأنفال : ٣٠] .

ومن عجائب نصرة النبي صلى الله عليه وسلم في غار ثور والنبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يمكثانه ، وذلك حينما دخلا الغار إذ بعث الله العنكبوت فنسجت ما بين الغار والشجرة التي كانت على وجه الغار ، وسترت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه ، وأمر الله تعالى حمامتين وحشيتين فأقبلتا تدفان ، حتى وضعتا بين العنكبوت وبين الشجرة [3] ، وكان ذلك شاهداً لآية (وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ

---

[1] تعهن : اسم عين ماء على ثلاثة أميال من السقيا بين مكة والمدينة .

[2] سيرة ابن هشام ، ص ٢/٩٩ .

[3] رواه الحافظ ابن عساكر عن جماعة من الصحابة (ابن كثير ، ص ٢/٢٤٠) .

وَالْأَرْضِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) [سورة الفتح : ٤] ، فلما وصل المشركون إلى وجه الغار حال الله بينهم وبين ذلك ، فاختلط عليهم الأمر ورأوا على باب الغار نسج العنكبوت [1] ، وإلى ذلك أشار الله تعالى بقوله : (فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ، وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [سورة التوبة : ٤٠] ، وبينما هما في الغار ، إذ رأى أبو بكر آثار المشركين ، فقال : " يا رسول الله ! لو أن أحدهم رفع قدمه ، رآنا " ، قال : " ما ظنك باثنين ، الله ثالثهما " [2] ، وفي ذلك يقول الله تعالى : (ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) [سورة التوبة : ٤٠] .

ومما منّ الله تعالى على رسوله بنصرته قصة وقعت في ركوب سراقة في إثر الرسول صلى الله عليه وسلم وما وقع له ، وذلك لما أعلنت قريش في رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فقدوه مائة ناقة لمن يردّه عليهم ، وكانا في الغار ثلاث ليال ثم انطلقا ، ومعهما عامر بن فهيرة ودليل من المشركين استأجره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بهم على طريق السواحل .

فحمل سراقة بن مالك بن جعشم الحرص على أن يقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرده لقريش وينال مائة ناقة ، فأخذ يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب على أثره يعدو ، فعثر به الفرس وسقط عنه فأبى إلا أن يتبعه ، فركب في أثره فكبا به الفرس مرة ثانية ، فسقط عنه وأبى إلا أن يتبعه فركب في أثره ، فلما بدا له القوم رآهم وعثر به الفرس مرة ثالثة ذهبت يداه في الأرض وسقط عنه وتبعهما دخان كالإعصار ، فعرف سراقة حين رأى ذلك أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حماية الله تعالى ، وأنه ظاهر لا محالة ، ويقول سراقة نفسه عن قصته : " فلما بدا لي القوم ورأيتهم عثر بي فرسي فذهبت يداه في الأرض وسقطت عنه ثم انتزع يديه من الأرض وتبعهما دخان كالإعصار ، فعرفت

---

[1] رواه الإمام أحمد في سنده عن ابن عباس (ابن كثير ، ص ٢٢٩/٢) ، والبزار في مسنده .
[2] الجامع الصحيح للبخاري ، باب قوله تعالى ثاني اثنين إلخ .

حين رأيت ذلك أنه قد منع مني ، وأنه ظاهر [1] ، فنادى القوم ، وقال : " أنا سراقة بن جعشم ، أنظروني أكلمكم ، فوالله لا يأتيكم مني شيئ تكرهونه " ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : " قل له : وما تبتغي منا ؟ " ، فقال سراقة : " تكتب لي كتاباً يكون آيةً بيني وبينك " ، فكتب عامر بن فهيرة كتاباً في عظم أو في رقعة [2] ، وكانت في ذلك الوقت بشارة النبي صلى الله عليه وسلم لسراقة بفتح قصور كسرى وقيصر ولباسه سواري كسرى .

ومن العجائب أثناء الهجرة ، قصة شاة أم معبد الخزاعية ، فهو لما مرّ النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بأم معبد ، كانت عندها شاة خلفها الجهد عن الغنم ، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ضرعها ، وسمى الله ، ودعا ، فدرّت ، فسقاها ، وسقى أصحابه حتى رووا ، ثم شرب ، وحلب فيه ثانياً ، حتى ملأ الإناء ، فلما رجع أبو معبد ، سأل عن القصة ، فقالت : " لا والله ، إلا أنه مرّ بنا رجل مبارك ، كان من حديثه كيت وكيت ، ووصفته له وصفاً جميلاً ، قال : " والله إني لأراه صاحب قريش الذي تطلبه " [3] .

وخلاصة البيان أن الهجرة النبوية لها مزايا متنوعة عميقة في تاريخ الإسلام وأن استعداد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة لها أيضاً سطر في صفحات التاريخ بدموع مخضلة وسُجِّل بدماء مهراقة ، حيث لا بد من استجلاب ذكراه في الأزمنة على مر الدّهور بمناسبة بداية السنة الهجرية ، وقد ختمت الهجرة بقبول حسن من الأنصار ، قبلوهم ورحبوهم بتغني الأناشيد وضرب الدفوف ، وتنافس الأنصار في ضيافة المهاجرين بمشاركتهم في أموالهم وأهاليهم ومنازلهم وجاهدوا لتحصيل رضى الله ورسوله حتى الممات وتضحية أنفسهم لدين الله حتى المعاد .

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه إلى المدينة ، ص ٣٩٠٧/٧ ، فتح الباري .

[2] سيرة ابن هشام ، ص ٩٩/٢ ، والجامع الصحيح للبخاري باختلاف الألفاظ .

[3] زاد المعاد لابن قيم الجوزية ، ص ٢٠٩/٢ .

الإجهاض في ميزان الشريعة الإسلامية

(الحلقة الأولى)

الأستاذ خورشيد أشرف إقبال الندوي

الحمد لله الذي جعل من القرآن نوراً مبيناً ، ومن السنة النبوية هدياً حكيماً ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اتبع هداه إلى يوم الدين ، وبعد :

فقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم ، وكرَّمه غاية التكريم فقال عز من قائل : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ والبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ ممَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) [1] .

وقد حرص الإسلام على حفاظ أنفس الناس وأعراضهم من خلال المحافظة على المقاصد الخمسة : (الدين والنفس والعقل والنسل والمال) ، فقد شرع الله تعالى نظاماً فريداً يكفل حماية البشرية كلها من كل اعتداء ، ويذود عن حرمتها ، ويعمل على ديمومتها ، ويصون كرامتها من كل تغيير يفسدها .

وقد علَّم الله الإنسان ما لم يكن يعلم وأمره بالبحث والنظر والتفكر والتدبر مخاطباً إياه في آيات عديدة (أَفَلا يَرَوْن) (أَفَلا يَنْظرون) ، (إنَّ في ذلكَ لآيات لقَوْمٍ يَتَفَكَّرون) [2] .

والإسلام لم يضع حجراً ولا قيداً على حرية البحث العلمي ، إذ هو من باب استكناه سنة الله في خلقه ، ولكن الإسلام يقضي كذلك بأن لا يترك الباب مفتوحاً بدون ضوابط أمام دخول تطبيقات نتائج البحث

[1] سورة الإسراء : ٧٠ .

[2] سورة طه : ٨٩ ، الغاشية : ١٧ ، الرعد : ٣ .

العلمي إلى الساحة العامة بغير أن تمر على مصفاة الشريعة ، لتمرر المباح وتحجز الحرام .

وقد كان مما استجد للناس من قضايا عمليات الإجهاض التي استشرت في العصر الحديث ، إثر إباحتها من قبل بعض الدول والمنظمات ، وبعد تقدم الطب الذي جعلها أحد الحلول لبعض القضايا الطبية .

وما أدل على انتشار الإجهاض في المجتمعات الغربية والشرقية من التقارير التي تنشر من قبل منظمة الصحة العالمية بين فينة وأخرى ، فقد وصل عدد الأجنة الذين أجهضوا حتى وقت قريب حوالي مائة مليون حالة ، وبلغ عدد الأمهات اللاتي توفين بسبب الإجهاض ما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف .

ومن هذه الأعداد الخطيرة تتبين خطورة الإجهاض الذي تتجدد وسائله وقضاياه مع تجدد الزمان والمكان ؛ حيث إنه يتعلق بالحياة الإنسانية الغالية ، ويسبب لإهلاك الأنفس ، ويهدد كيان الأسرة والمجتمع .

ومما لا شك فيه أن من مقاصد التشريع الإسلامي المحافظة على النفس والنسل ، ومنها نفس الجنين ، فالشريعة الإسلامية تميزت باهتمامها بالجنين منذ كونه نطفة قبل نفخ الروح ؛ ولأجل ذلك أبيح الفطر للحامل من أجل الحمل ، ويؤجل عن الحامل الحد الواجب محافظة عليه ، وشرعت العقوبة لمن يتسبب في إجهاضه .

ولذا كان لابد من بيان حكم الشرع فيه ، وتقديم تفاصيل الموضوع من خلال أقوال فقهاء الإسلام وعلمائه المعاصرين ، راجياً من المولى – عز وجل – القبول والسداد والتوفيق ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

مفهوم الإجهاض :

الإجهاض لغةً :

الاجهاض في اللغة من الفعل أجهض أي أسقط وألقى ، تقول العرب : أجهضت الناقة : أي ألقت ولدها لغير تمام ، وأجهضت المرأة ولدها ، إذا أسقطته ناقص الخلق .

ويطلق الإجهاض في اللغة غالباً على إلقاء الحمل ناقص الخلق أو

ناقص المدة ، أي الذي لم يستبن خلقه ، سواء من المرأة أو غيرها . وقد يطلق على ما تم خلقه بعد نفخ الروح [1] .

الإجهاض اصطلاحاً :

عرف بعدة تعريفات ، منها :

هو " إسقاط المرأة جنينها بفعل منها أو من غيرها " .

أو هو " إلقاء المرأة أو الحيوان حمله ناقص الخلق أو ناقص المدة تلقائياً أو بفعل فاعل " [2] .

وعرَّفه الأطباء بأنه : " إنهاء حالة الحمل قبل أن يكون جنيناً قادراً على الحياة خارج الرحم ، وهو إما أن يكون تلقائياً أو مفتعلاً " .

أو هو في نظر الأطباء " عبارة عن خروج محتويات الحمل قبل ثمانية وعشرين أسبوعاً ، تحسب من آخر حيضة حاضتها المرأة " [3] .

ويستفاد من التعريفات السابقة أن الإجهاض هو إسقاط الجنين بأية وسيلة قبل الوقت المحدد للولادة حيّاً أو ميتاً .

أنواع الإجهاض :

يتنوع الإجهاض إلى نوعين رئيسين :

النوع الأول : الإجهاض التلقائي :

وهو الذي يحصل بغير إرادة المرأة وتدخلها ؛ حيث يقوم الرحم بإخراج جنين لم تكتمل له عناصر الحياة .

ولهذا الإجهاض درجات :

أ. الإجهاض المدر : وذلك عندما يكون النزيف بسيطاً وعنق الرحم مغلقاً .

ب. الإجهاض الكامل : وهو نزول الجنين مع المشيمة .

---

[1] انظر : لسان العرب لا بن منظور ١٣١/٧ – ١٣٢ ، القاموس المحيط ٥٤٨/١ ، المصباح المنير للفيومي ١١٣/١ ، معجم المقاييس في اللغة لابن فارس ، ص ١٠٣٨ – ١٠٣٩ ، المعجم الوسيط ١٤١/١ ، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣٠٧/١ .

[2] النهاية ٨٥٢/١ ، غريب الحديث ١١٣/١ ، التعريفات للمناوي ٣٨/١ ، معجم الفقهاء لمحمد رواس قلعجي ، ص ٢٣ .

[3] الإجهاض في الفقه الإسلامي إبراهيم رحيم ، ص ٨٣ – ٨٤ ، الإجهاض د . أحمد رجائي بحث منشور في مجلة الأزهر العدد ٦٩ ، ٢٤٨/٢ ، خلق الإنسان بين الطب والقرآن د . محمد علي البار ، ص ٤٢٥ ، الموسوعة الفقهية الكويتية ٥٦/٢ .

ت. الإجهاض غير كامل : إذ تنزل بعض أجزاء الجنين ، وفي هذه الحالة تجرى عملية لتفريغ الرحم .

حكمه :

وبالنظر إلى أنواعه يظهر جليّاً أنه لا إثم فيه ولا مؤاخذة ، ومن ثم لا يترتب عليه عقاب من الناحية الشرعية ؛ لأنه تلقائي بدون قصد ولا نية ، لا دخل للإنسان فيه ، والشريعة الإسلامية لا ترتب أثراً على التصرفات التي تتم بدون قصد ، بل إن مثل هذه الإجهاضات التي تقوم بها الأرحام من رحمة الله عز وجل [1] .

النوع الثاني : الإجهاض الصناعي :

وهو الذي يحدث بسبب عامل خارجي من قبل المرأة نفسها أو الطبيب أو الغير ؛ وذلك عن طريق شرب دواء معين ، أو إدخال أدوات صلبة في المهبل للتخلص من الجنين لسبب من الأسباب التي يراها أصحابها أنها مبررات إنسانية [2] .

وهذا يقسمه العلماء إلى الحالات التالية :

الحالة الأولى : الإجهاض قبل الأربعين ، أو قبل استبانة التخلق .

اختلف الفقهاء والعلماء قديماً وحديثاً في حكم هذه المسألة اختلافاً واسعاً ، ولهم في ذلك أقوال وآراء ، يمكن لمُّ شملها في اتجاهين رئيسين :

الاتجاه الأول :

تحريم الإجهاض في جميع الأطوار . ذهب إليه المالكية والظاهرية والشيعة الإمامية ، واختاره أبو حامد الغزالي ، والعز بن عبد السلام ، وابن حجر العسقلاني من الشافعية ، وابن رجب ، وابن الجوزي ، وابن العماد ، وشيخ الإسلام ابن تيمية من الحنابلة ، وقاضي زادة من الحنفية ، وابن عثيمين من العلماء المعاصرين ، ومال إليه من الأطباء محمد علي البار ،

---

[1] انظر : الإجهاض وآثاره الفقهية ، د . آمال أنور ٢٨/١ ، مجلة كلية الشريعة بطنطا، العدد ١٤٢٨/٢٢ .

[2] الإنجاب الصناعي د . محمد المرسي ، ص ٣٠١ ، ذات السلاسل – الكويت ، الإجهاض في الفقه الإسلامي إبراهيم رحيم ، ص ٨٤ .

وقادري ، وزياد التميمي ، وحسان حتحوت ، أما التحريم قبل نفخ الروح فأيده سلام مدكور ، ووهبة الزحيلي ، وجميل بن مبارك ، ومحمد نعيم ياسين وغيرهم ، وكرهه الفقيه الحنفي علي بن موسى [1] .

الأدلة :

الدليل الأول : قوله تعالى : (وَإِذَا ٱلْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ) [2] .

قالوا : الإجهاض في مرحلة النطفة يدخل في الوأد ؛ وذلك لأن الإجهاض قتل ما تهيأ ليكون إنساناً ، والوأد قتل ما كان إنساناً ، وهومحرم بالإجماع ، فكذلك الإجهاض .

الدليل الثاني : قوله تعالى : (ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ) [3] .

وجه الاستدلال : أن الله سبحانه قد وصف النطفة المحفوظة بأنها في قرار مكين ، وبأنها أول مراحل الإنسان ، كان الأمر إلى استخراجها من قرارها المكين إتلافاً لها وتعدياً عليها ، ومخالفة لمقصود الشارع من الرحم .

الدليل الثالث : عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنين امرأة من بني لحيان سقط ميتاً بغرة عبد أو أمة [4] .

وجه الاستدلال : أن الجنين اسم لما في البطن ، وإيجاب الغرة فيه دليل على أنه محترم ، يأثم المتعدي عليه ، وإذا كان يأثم بالتعدي عليه

---

[1] حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٨٦/٣ ، بلغة السالك لأقرب المسالك ٤٢٠/٢ ، مواهب الجليل ١٣٣/٥ – ١٣٤ ، حاشية العدوي على الخرشي ٢٢٥/٢ ، المحلى ٣٠/١١ ، شرائع الإسلام ٢٦٤/٤ ، نتائج الأفكار تكملة شرح فتح القدير ٣٠٠/١٠ ، المغني ٣٢٧/١٢ – ٣٢٨ ، إحياء علوم الدين ١١٠/٢ ، فتح الباري ٣٨٦/٩ ، الفتاوى ١٠٢/٣٤ ، أحكام النساء ، ص ٣٠٦ ،الجنين والأحكام المتعلقة به في الفقه الإسلامي ، ص ٣٠٥ ، الفقه الإسلامي وأدلته ٥٥٧/٣ ، نظرية الضرورة الشرعية ، ص ٤٢٧ ، الإسلام وضرورات الحياة ، ص ٨٣ ، مشكلة الإجهاض ، ص ٤٥ ، الأجنة البريئة ، ص ٦٢ ، الإجهاض في الفقه الإسلامي ، إبراهيم رحيم ، ص ٨٤ ، أبحاث فقهية في قضايا طبية معاصرة ، ص ٢٢٢ .

[2] سورة التكوير : ٨ – ٩ .

[3] سورة المؤمنون : ١٣ .

[4] رواه مسلم في كتاب القسامة برقم ١٦٨١ .

فإنه لا يجوز إجهاضه .

الدليل الرابع : ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفةً ، ثم يكون علقةً مثل ذلك ، ثم يكون مضغةً مثل ذلك . . . " [1] .

وجه الاستدلال : أنه دلَّ على أن الله عز وجل يجمع الخلق في الأربعين ، وفيها يبتدئ التخليق والتصوير ، إلا أنه تخليق وتصوير خفيّ .

والأطباء يجمعون على القول بما ورد في هذا الحديث ، وهذا من آيات النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا كان التخليق والتصوير – وإن كان خفياً في مدة الأربعين – فإنه لا يجوز الاعتداء عليه وانتهاك حرمته .

الدليل الخامس : أن إقامة الحد والقصاص واجب ، وإذا ثبت أن هذه المرأة حامل فإنه لا يجوز إقامة الحد والقصاص عليها حتى تضع ما في بطنها ولو كان نطفةً ، فأُخر الحد الواجب والقصاص الواجب من أجل هذه النطفة ، ولا يؤخر الواجب إلا لشيئ محترم لا يجوز انتهاكه .

الدليل السادس : وهو ما ذكره الأطباء في الوقت الحاضر من أن أدق مراحل خلق الإنسان هي مرحلة النطفة ، ففيها يبدأ تكوين الجنين ، وفيها تنتقل الموروثات والطبائع والصفات الخلقية ، والحمل يتأثر في هذه المرحلة ما لا يتأثر في المراحل التي تليها ، فإذا كانت هذه أدق مرحلة ، وفيها تتجلى عظمة الله عز وجل وإجلاله ، فكيف يجوز الاعتداء وانتهاك هذه الحرمة ، مع أن في انتهاك هذه الحرمة مصادمة لما جاءت به الشريعة من حفظ الضروريات والمصادمة لأهم مقاصد النكاح .

الدليل السابع : ولأن الماء بعد ما وقع في الرحم مآله الحياة ، فيكون له حكم الحياة ، كما في بيضة صيد الحرم ؛ إذ المحرم لو كسر بيض الصيد ضمنه ؛ لأنه أصل الصيد ، فلما كان مؤاخذاً بالجزاء ، فلا أقل من أن يلحق المرأة إثم هنا إذا أسقطت من غير عذر [2] .

(للبحث صلة)

---

[1] رواه البخاري في كتاب الأنبياء برقم ٣٣٣٢ ، ومسلم في كتاب القدر برقم ٦٥٩٩ .

[2] ينظر بخصوص الأدلة المراجع السابقة نفسها .

أسرار التكرار في القرآن

الدكتور محمد . ك . باندیکادو *

مقدمة :

اعترض بعض من لا يفقه لغة العرب ، فراح يطعن بالتكرار الوارد في القرآن ، وظن هؤلاء أن هذا ليس من أساليب الفصاحة ، وهذا من جهلهم ، فالتكرار الوارد في القرآن ليس من التكرار المذموم الذي لا قيمة له .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وليس في القرآن تكرار محض ، بل لابد من فوائد في كل خطاب " [١] .

وقال في التعليق على تكرار قصة موسى عليه السلام مع قومه : " وقد ذكر الله هذه القصة في عدة مواضع من القرآن ، يبين في كل موضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعاً غير النوع الآخر " [٢] .

أريد في هذه المقالة أن أوضح هذا الموضوع بالإيجاز .

تعريف التكرار لغةً واصطلاحاً :

قال ابن منظور : الكَرُّ : الرجوع ، يقال : كَرَّه وكَرَّ بنفسه ، يتعدّى ولا يتعدّى ، والكَرُّ مصدر كَرَّ عليه يَكُرُّ كَرّاً . . . والكَرُّ : الرجوع على الشيئ ، ومنه التَّكْرارُ [٣] .

التكرار في الاصطلاح : تكرار كلمة أو جملة أكثر من مرة لمعان متعددة كالتوكيد ، والتهويل ، والتعظيم ، وغيرها .

قال السيوطي رحمه الله : " التكرار هو أبلغ من التأكيد ، وهو من محاسن الفصاحة خلافاً لبعض من غلط " [٤] .

---

* الأستاذ المشارك ورئيس القسم العربي ، الكلية الحكومية ، جتور ، بالكادو ، ميل : mhdpkd@gmail.com

١ مجموع الفتاوى : ١٤/٤٠٨ .

٢ مجموع الفتاوى : ١٩/١٦٧ – ١٦٨ .

٣ لسان العرب : ٥/١٣٥ .

٤ الإتقان في علوم القرآن : ٣/٢٨٠ .

أنواع التكرار :

قسَّم العلماء التكرار الوارد في القرآن إلى نوعين : أحدهما : تكرار اللفظ والمعنى وهو ما تكرر فيه اللفظ دون اختلاف في المعنى ، وقد جاء على وجهين : موصول ، ومفصول . أما الموصول : فقد جاء على وجوه متعددة : إما تكرار كلمات في سياق الآية ، مثل قوله تعالى : (هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ) [1] ، وإما في آخر الآية والتي بعدها ، مثل قوله تعالى : (وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا . قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً) [2] وإما في أواخرها ، مثل قوله تعالى : (كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً) [3] ، وإما تكرار الآية بعد الآية مباشرة ، مثل قوله تعالى : (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً) [4] .

وأما المفصول : فيأتي على صورتين : إما تكرار في السورة نفسها ، وإما تكرار في القرآن كله . مثال التكرار في السورة نفسها : تكرر قوله تعالى : (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) في سورة الشعراء ٨ مرات ، وتكرر قوله تعالى : (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) في سورة " المرسلات " ١٠ مرات ، وتكرر قوله تعالى : (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) في سورة " الرحمن " ٣١ مرة .

ومثال التكرار في القرآن كله : تكرار قوله تعالى : (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) ٦ مرات (يونس : ٤٨ ، الأنبياء : ٣٨ ، النمل : ٧١ ، سبأ : ٢٩ ، يس : ٤٨ ، الملك : ٢٥) .

وتكرر قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) مرتين (التوبة : ٧٣ ، التحريم : ٩) .

والثاني : التكرار في المعنى دون اللفظ . وذلك مثل قصص الأنبياء مع أقوامهم ، وذِكر الجنة ونعيمها ، والنار وجحيمها .

فوائد التكرار في القرآن :

يمكن أن نوجز فوائدَ التكرار في القرآن الكريم فيما يلي :

---

[1] المؤمنون : ٣٦ .
[2] الإنسان : ١٥ – ١٦ .
[3] الفجر : ٢١ .
[4] الشرح : ٥ – ٦ .

(١) التأكيد : هو إعادة اللفظ أو مرادفه لتأكيد معنًى . أمثلته كثيرة ، ومنها :

فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّر [١] .

أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى . ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى [٢] .

(٢) زيادة التنبيه : هو إعادة اللفظ للتنبيه والتذكير . كما قال الله تعالى : (وَقَالَ الَّذي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَاد . يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذه الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ) [٣] ، هنا لزيادة التنبيه فإنه كرر النداء (يَا قَوْمِ) وذلك حتى يلقي الكلام القبول .

(٣) تجنب النسيان أو السهو : فالكلام إذا طال وخشي تناسيه أعيد ثانيةً وذلك تجديداً له . كما قال الله تعالى : (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كتَابٌ مِنْ عنْد اللَّه مُصَدِّقٌ لمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا منْ قَبْلُ يَسْتَفْتحُونَ عَلَى الَّذينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا به فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافرينَ) [٤] وفي هذه الآية تكرار (وَلَمَّا جَاءَهُمْ) للتذكار ولتجنب النسيان .

قال الله تعالى : (أَيَعدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا متُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ) [٥] فقوله (أَنَّكُمْ) الثاني بناءً على الأول ، إذكاراً به خشية تناسيه . وقال الله تعالى : (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ للَّذينَ عَملُوا السُّوءَ بجَهَالَة ثُمَّ تَابُوا منْ بَعْد ذَلكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ منْ بَعْدهَا لَغَفُورٌ رَحيمٌ) [٦] في هذه الآية تكرار (إِنَّ رَبَّكَ) للتذكار .

(٤) التعظيم والتهويل :

قد تكرر في القرآن الكريم بعض الكلمات بإرادة التعظيم والتهويل ، مثاله قال الله تعالى : (الْحَاقَّةُ . مَا الْحَاقَّةُ) [٧] ، وقوله : (الْقَارِعَةُ . مَا الْقَارِعَةُ) [٨] ، وقوله : (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ) [١] ،

---

[١] المدثر : ١٩ – ٢٠ .
[٢] القيامة : ٣٤ – ٣٥ .
[٣] غافر: ٣٨ – ٣٩ .
[٤] البقرة : ٨٩ .
[٥] المؤمنون : ٣٥ .
[٦] النحل: ١١٩ .
[٧] الحاقة: ١ – ٢ .
[٨] القارعة : ١ – ٢ .

وقول الله تعالى : (فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ . وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ) [٢] .

(٥) الوعيد والتهديد :

وكذلك نرى بعض الكلمات تكررت في القرآن يراد به الوعيد والتهديد . مثلاً قال الله تعالى : (كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) [٣] وذكر " ثُمَّ " في المكرر دلالةً على أن الإنذار الثاني أبلغُ من الأول ، وفيه تنبيهٌ على تكرار ذلك مرةً بعد أخرى ، وإن تعاقبت عليه الأزمنة لا يتطرق إليه تغييرٌ ، بل هو مستمر دائماً .

(٦) التعجُّب :

تكرر بعض الكلمات في القرآن بإرادة التعجب . كما قال الله تعالى : (فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ) [٤] ، فأعيد تعجباً من تقديره وكيف أعدَّ في نفسه هذا الطعن واستحق بذلك الهلاك .

(٧) تعدُّد المخاطب :

وكذلك تكرر بعض الآيات في القرآن بإرادة تعدد المخاطب . نسمع قول الله تعالى : (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) [٥] ، فإنها وإن تعددت فكل واحدٍ منها متعلقٌ بما قبله ، وإن الله تعالى خاطب بها الثَّقَلين من الإنس والجن ، وعدَّد عليهم نِعَمَه التي خلقها لهم ، فكلما ذكر فصلاً من فصول النِّعم ، طلب إقرارَهم ، واقتضاهم الشكر عليه ، وهي أنواعٌ مختلفةٌ ، وصورٌ شتَّى .

وقال الله تعالى : (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) [٦] وإذا نظرنا إلى هذه السورة ، وجدناها تتحدث عن وقوع اليوم الآخر ، وتصفه ، فلا جرم أنْ تَكَرَّر هذا الإنذار عقب كل وصف له ، أو فعل يقع فيه ، وفي هذا التكرير ما يوحي بالرهبة ، ويملأ القلب رعباً من التكذيب بهذا اليوم الواقع بلا ريب .

---

[١] الواقعة : ٢٧ .
[٢] الواقعة : ٩ – ٨ .
[٣] التكاثر : ٣ – ٤ .
[٤] المدثر : ١٩ – ٢٠ .
[٥] الرحمن : ١٣ .
[٦] المرسلات : ١٥ .

الخاتمة :

ومن هذا نفهم أن التكرار في القرآن لها أسرار وفوائد . ومن علم هذه الأسرار فيذوق لذة القرآن ويرى جمال الفرقان . فمثل هذا التكرار ليس مقبولاً فقط ، بل هو مطلوب ومقصود ، ويُراد به التذكير ، وتزكية النفس وصلاح القلب ، ولذلك صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قام ليلةً كاملةً ، يكرر آيةً واحدةً ، وكذلك ورد تكرير قراءة الآيات عن كثير من السلف .

قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة : " هذه كانت عادة السلف ، يردد أحدهم الآية إلى الصباح ، وقد ثبت عن النبي أنه قام بآية يرددها حتى الصباح ، وهي قوله : (إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ) ، فقراءة القرآن بالتفكر هي أصل صلاح القلب " ، ومن هذه المعلوما ت نفهم أن التكرار في القرآن له أسرار وفوائد . علينا أن نفهم أولاً هذه الأسرار ثم نوقن بالله العزيز الحكيم .

المراجع :

١. أسرار التكرار في القرآن ، محمد بن حمزة الكرماني ، دار الفضيلة ، ٢٠٠٨م .
٢. رسالة في علوم القرآن ، ابن تيمية .
٣. الانتصار للقرآن ، أبو بكر الباقلاني ، دار الفتح ، بيروت .
٤. البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد الزركشي ، مكتبة دار التراث ، القاهرة .
٥. تأويل مشكل القرآن ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، دار إحياء الكتب العربية .
٦. الجمال في القرآن الكريم : مفهومه ومجالاته ، الدكتور عبد الجواد محمد المحص ، ٢٠٠٥م .
٧. https://islamweb.net/ar/fatwa/٤٤٥٣٢١
٨. https://www.alukah.net/sharia/٠/١١٨٤٥٦
٩. https://ar.islamway.net/article/٧٨٩١٢

نبوءة وجود سبعة محيطات في الأحاديث

في ضوء القرآن والحديث والجغرافيا والجيولوجيا الحديثة

الأستاذ أنيس الرحمن الندوي *

يوجد هناك ذكر لسبعة محيطات أيضاً كما يوجد هناك ذكر سبع قارات في الأحاديث النبوية . فوفقاً للأحاديث ، تقع سبعة محيطات على سطح كوكب الأرض كما تقع عليها سبع قارات . ومن الأحاديث الواردة في هذا الشأن ما يأتي :

أخرج أبو الشيخ عن وهب قال : إنها سبعة أبحر وسبع أرضين [1] .

قال وهب بن منبه : على وجه الأرض سبعة أبحر والأرضون سبع ، بين كل أرضين بحر [2] .

تم وصف العديد من الحقائق الجغرافية المهمة في الأحاديث المذكورة أعلاه والتي تتعلق ببحوث واكتشافات العصر الحديث . أولها أن الأحاديث تنص بوضوح على وجود سبع قارات بالإضافة إلى سبعة محيطات على وجه الأرض . ثانياً : فيما يتعلق بشكل وموقع هذه القارات السبع والمحيطات السبعة ، فقد ذكر أن هناك محيطاً بين كل من هاتين المنطقتين القارتين ، أو بعبارة أخرى ، يقسم المحيط الجزء القاري من كوكب الأرض ويعطيه شكل سبع قارات . كما تدل الآية القرآنية على وجود سبعة محيطات على الأرض ، وهي كالتالي : (وَلَوْ أَنَّ مَا فِيْ الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِه سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللّه) . [لقمان : ٢٧]

تصرح هذه الآية الكريمة أنه إذا كانت كل شجر الأرض تم جعلها أقلاماً ، وكذلك إذا كانت محيطات الأرض السبعة جعلت حبراً وسُجل كلام الله ، ينفد القلم والحبر ، ولكن كلام الله لا ينفد . فبهذه الطريقة تشير هذه الآية إلى وجود سبعة محيطات على الأرض .

---

* الأمين العام ، الأكاديمية الفرقانية الوقفية ، ورئيس تحرير مجلة تعمير فكر ، بنغلور (الهند) .

[1] الهيئة السنية ، جلال الدين السيوطي ، ص ٧٤ .

[2] تفسير القرطبي : ١٦٩/١١ – ١٧٠ .

الجزء المحيطي من الأرض وتقسيمه :

الآن سوف نلقي بعض الضوء على محيطات الأرض مما سيسهل فهم الآية الكريمة والأحاديث المذكورة أعلاه . تغطي المحيطات حوالي ٧١٪ من سطح الأرض ، بينما الـ ٢٩٪ المتبقية من سطح الأرض تتكون من اليابسة . إن الفرق الرئيسي بين الجزء القاري والجزء المحيطي من كوكب الأرض هو أن الجزء القاري من الأرض مقسم إلى سبعة أجزاء مختلفة من الأحجام والأشكال المتنوعة ، والتي تسمى القارات السبع . على العكس من ذلك ، يفتقر الجزء المحيطي إلى مثل هذه الحدود المادية ، وبدلاً من ذلك يشكل جسماً واحداً . لذلك ، في هذه الحالة ، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو أنه عندما تكون المحيطات جسداً واحداً وكياناً واحداً على الأرض ، فعلى أي أساس يمكن تقسيمها وإلى كم عدد البحار التي يمكن تقسيمها ؟

صحيح أن جميع المحيطات على الأرض متشابكة ومتداخلة . أي بما أن كلاً من القارات السبع لها وجودها المستقل الخاص بها ، فالمحيطات ليس لها وجودها المستقل ، وكل المحيطات تشكل جسماً واحداً . ومع ذلك ، فإن العديد من العوامل الجغرافية والأوقيانوغرافية تؤثر على المحيطات والتي تقسم محيط الأرض الشاسع العظيم إلى عدد من المحيطات المتميزة ، فيزيائياً وكيميائياً . وتشمل هذه العوامل موقع القارات ، وموقع المحيطات من حيث وقوعها في نصف الكرة الشمالية أو نصف الكرة الجنوبية ، وتيار المحيط ، والخصائص الفيزيائية والكيميائية المحددة للمحيطات ، وتأثير عوامل الأرصاد الجوية عليها . على سبيل المثال ، إن وجود القارات في وسط المحيط يقسم هذا المحيط الضخم إلى أحواض منفصلة . وبالمثل ، فإن وجود محيط كبير في نصفي الكرة الأرضية المختلف هو أيضاً عامل مهم يقسم المحيطات إلى أجزاء مختلفة لأن الخصائص الفيزيائية والكيميائية والتيارات المحيطية في نصف الكرة الجنوبي تختلف تماماً عن تلك الموجودة في نصف الكرة الشمالي (انظر الشكل ٥ : تيارات المحيط) بناءً على كل هذه العوامل ، فإن محيط كوكب الأرض ، على الرغم من كونه جسماً واحداً ، ينقسم إلى عدة محيطات متميزة .

عدد المحيطات :

فيما يتعلق الأمر بتحديد عدد المحيطات على الأرض ، كان هناك نقاش مستمر بين علماء المحيطات ، واستمر تقديم بحوث أوقيانوغرافية جديدة في هذا الصدد . فوفقاً للبعض ، كان إجمالي عدد المحيطات ثلاثة ، والتي تشمل المحيط الأطلسي والمحيط الهادئ والمحيط الهندي . وبالنسبة للبعض كان الرقم أربعة (المحيط الرابع هو المحيط المتجمد الشمالي) وبالنسبة للبعض كان عدد المحيطات خمسة (الخامس هو المحيط الجنوبي أو المحيط القطبي الجنوبي) . في عام ١٩٥٤ ، اعترفت المنظمة الهيدروغرافية الدولية [١] بوجود أربعة محيطات فقط (المحيط الأطلسي والمحيط الهادئ والمحيط الهندي ومحيط القطب الشمالي) . في وقت لاحق ، تم تقسيم المحيط الأطلسي والمحيط الهادئ إلى محيطين آخرين (المحيط الأطلسي الشمالي والمحيط الأطلسي الجنوبي ، وبالمثل المحيط الهادئ الشمالي والمحيط الهادئ الجنوبي) ، وتم ترسيم الحدود على خط الاستواء . وهكذا أصبح عدد المحيطات ستة .

الشكل ٤: خريطة العالم الجديد التي تظهر سبع قارات وسبع محيطات على كوكب الأرض

[١] هي منظمة حكومية دولية تأسست عام ١٩٢١م . تعتبر قراراتها نهائياً فيما يتعلق بالجغرافيا المائية (ترسيم البحار والأنهار) .

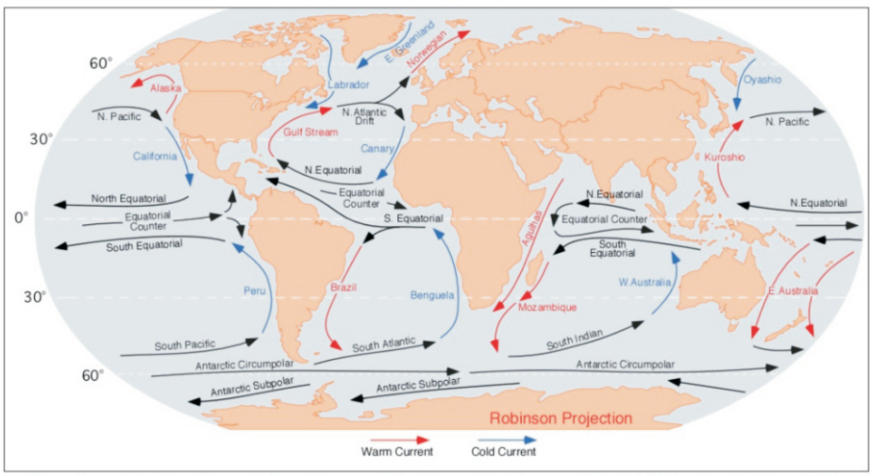

الشكل ٥: التيارات المحيطية لكوكب الأرض ، والتي تلعب دورًا مهمًا في تقسيم الجسم الواحد من المحيطات إلى سبعة محيطات منفصلة ومتميزة.

لا يزال هناك اختلاف في الرأي فيما يتعلق بمحيط القطب الجنوبي / المحيط المتجمد الجنوبي ، هل هو محيط منفصل أم الجزء الجنوبي من المحيطات الثلاثة – المحيط الهندي والمحيط الهادئ الجنوبي والمحيط الأطلسي الجنوبي ؟ ومع ذلك ، فإن المزيد من التحقيقات في علم الأرصاد الجوية وعلوم المحيطات والجيولوجيا قدمت أدلةً جوهريةً تثبت أنه محيط مستقل ومنفصل . والتي على أساسها تم الاعتراف به كمحيط منفصل :

Reference is often made to the Antarctic, or Southern Ocean, which encircles the Antarctic continent and consists of the southernmost sectors of the three principal oceans. In spite of the lack of definite geographic boundaries, the meteorological and oceanographic conditions in the high southern latitudes combine to produce a well-defined circumpolar current called the West Wind Drift. This current distinguishes the Antarctic Ocean as a physical entity, but the

ocean's geographic borders are less easily defined [1] .

" غالباً ما يُشار إلى محيط القطب الجنوبي أو المحيط المتجمد الجنوبي على أنه المحيط الذي يحيط بقارة أنتاركتيكا ويمتد إلى المناطق الجنوبية للمحيطات الرئيسية الثلاثة (المحيط الأطلسي والمحيط الهادئ والمحيط الهندي) . على الرغم من عدم وجود حدود جغرافية محددة ، تتفق ظروف الأرصاد الجوية والأوقيانوغرافية هنا على وجود تيار محيطي محدد يسمى " الانجراف الغربي للرياح " West Wind Drift . يفصل هذا التيار ويميز المحيط المتجمد الجنوبي باعتباره كياناً مادياً مستمراً ، على الرغم من أن الحدود الجغرافية لهذا المحيط لا يمكن تحديدها بسهولة " .

أخيراً في عام ٢٠٠٠م ، أنهت المنظمة الهيدروغرافية الدولية هذا النقاش الطويل واعترفت بأن المحيط المتجمد الجنوبي هو المحيط السابع ، وتم ترسيم حدوده في نصف الكرة الجنوبي الذي يغطي المنطقة المحيطية بأكملها تحت ٦٠ درجة ، وأطلق عليه اسم محيط القارة القطبية الجنوبية أو المحيط الجنوبي . وهكذا اكتمل عدد المحيطات السبعة . وبهذه الطريقة ظهر إعجاز علمي مهم للقرآن والحديث في هذا الصدد . إن تفاصيل هذه المحيطات السبعة معطاة في الجدول أدناه وكذلك يمكن مشاهدة شكل وموقع هذه المحيطات السبعة في الشكل ٤ :

الرقم	اسم المحيط بالعربية	اسم المحيط بالإنجليزية	إجمالي المساحة (بآلاف الكيلومترات المربعة)
١	المحيط الهادئ الشمالي	North Pacific Ocean	٨٣،٤٦٢
٢	المحيط الهادئ الجنوبي	South Pacific Ocean	٦٥،٥٢١

[1] Grolier Encyclopedia of Knowledge, Vol. ١٤, P. ٣٤.

٣	المحيط الأطلسي الشمالي	North Atlantic Ocean	٤٦،٧٧٢
٤	المحيط الأطلسي الجنوبي	South Atlantic Ocean	٣٧،٣٦٤
٥	المحيط الهندي	India Ocean	٧٣،٥٥٦
٦	المحيط الجنوبي / محيط القطب الجنوبي	Southern/ Antarctic Ocean	٢٠،٣٢٧
٧	المحيط المتجمد الشمالي	Arctic Ocean	١٤،٠٥٦

الجدول ١ : المحيطات السبعة الموجدة على وجه الأرض ومساحتها الإجمالية

فيما يلي بيان صادر عن المنظمة الوطنية للمحيطات والغلاف الجوي (NOAA) بالولايات المتحدة الأمريكية رداً على استفسار بشأن عدد المحيطات على الأرض :

Although seamen of long ago are popularly known to have stated "I have sailed the seven seas," there really wasn't a good definition of those seas . However, today, the seven seas are the North Atlantic, South Atlantic, North Pacific, South Pacific, Indian, Antarctic, and Arctic Oceans [١] .

" على الرغم من أن البحارة منذ فترة طويلة معروفون عموماً بأنهم صرحوا " لقد أبحرت في البحار السبعة " ، لم يكن هناك تعريف دقيق لهذه البحار . ومع ذلك ، فإن المحيطات السبعة الموجودة اليوم هي : المحيط الأطلسي الشمالي ، والمحيط الأطلسي الجنوبي ، والمحيط الهادئ الشمالي ، والمحيط الهادئ الجنوبي ، والمحيط الهندي ، ومحيط المتجمد الجنوبي ، والمحيط المتجمد الشمالي " .

[١] www.noaa.gov (National Oceanic and Atmospheric Administration, US Department of Commerce): FAQ

إن المنظمة الوطنية للمحيطات والغلاف الجوي التابعة للحكومة الأمريكية ، في اعترافها بالمحيطات السبعة ، ألمحت أيضاً إلى أن مفهوم المحيطات السبعة كان أسطورياً ، وهو غير صحيح . بدلاً من ذلك ، فإن فكرة وجود " المحيطات السبعة " على الأرض هي فكرة إسلامية بحتة . سنقوم هنا بإلقاء نظرة عامة على هذا الموضوع هنا .

ذكر البحار السبعة في الأدب الديني والأدب الشعبي القديم :

يجب أن يؤخذ في الاعتبار أيضاً أن البحار السبعة قد تم ذكرها أيضاً في الأدب الديني والأدب الشعبي القديم . ومع ذلك ، نظراً لوجود اختلاف كبير بين مفهوم البحار السبعة المذكورة في هذا الأدب الديني والشعبي القديم ومفهوم المحيطات السبعة المذكورة في القرآن والحديث ، فمن الضروري إلقاء بعض الضوء عليه حتى يمكن إزالة سوء التفاهم في هذا الصدد أن هذين المفهومين متماثلان .

فيما يتعلق بالأدب الديني ، يذكر التلمود اليهودي أيضاً سبعة بحار . لكن بحار التلمود السبعة مختلفة تماماً عن البحار السبعة المذكورة في القرآن والحديث . فيما يتعلق بالبحار السبعة المذكورة في التلمود اليهودي ، يقال : إن هذه البحار السبعة تحيط بإسرائيل . يعطي التلمود البابلي أيضاً أسماء هذه البحار السبعة ، وكلها موجودة في إسرائيل الحالية وحولها . وهي كما يلي : بحر طبريا ، وبحر سدوم (البحر الميت) ، والبحر الأحمر ، وبحيرة مسعده (بركة رام) ، وبحيرة سهل الحولة ، وبحر أساميا ، والبحر الأبيض المتوسط [1] .

وبالمثل ، ورد ذكر البحار السبعة أيضاً في أدبيات إيران القديمة والهند والصين وروما ودول أخرى . وفقاً للإيرانيين (الفرس) ، كانت البحار السبعة هي الجداول التي تشكل نهر أوكسوس (آمو داريا) . تم العثور على مفهوم البحار السبعة بين الهندوس أيضاً ، والتي استخدموها للإشارة إلى أنهار البنجاب السبعة . أما بالنسبة للرومان ، كانت البحار السبعة عبارة عن

[1] Babylonian Talmud: BavaBatra ٧٤". Retrieved ٧ June ٢٠١٨

مجموعة من سبع بحيرات من المياه المالحة في البندقية (إيطاليا) [1] .

نظراً لوجود مفهوم البحار السبعة في جميع الأديان والحضارات القديمة تقريباً ، فقد تم استخدام مصطلح " البحار السبعة " لاحقاً كمثال . لذلك ، في فترات مختلفة ، بدأت الدول والثقافات المختلفة في تطبيق مصطلح " البحار السبعة " وفقاً لمعرفتهم وأبحاثهم حول البحار المكتشفة في زمنهم . ومن هنا حاول المسلمون في عصرهم أيضاً أن يطبقوا البحار السبعة على البحار المعروفة في ذلك الوقت . على سبيل المثال ، فقد طبق المؤرخ والجغرافي الشهير يعقوبي (المتوفى ٨٩٧) في كتبه مصطلح " البحار السبعة " على البحار السبعة التالية : الخليج الفارسي ، والخليج العربي ، وخليج البنغال ، ومضيق ملقا ، ومضيق سنغافورة ، وخليج تايلاند ، وبحر الصين الجنوبي . في حين أن بعض الجغرافيين المسلمين والبحارة أدرجوا البحر الأسود ، وبحر قزوين ، والبحر الأحمر ، والبحر الأبيض المتوسط والبحرالأدرياتيكي في قائمة البحار السبعة .

بعد اكتشاف كولومبوس للقارة الأمريكية ، اعتبر بعض الأوروبيون " البحار السبعة " على أنها المحيط الهادئ والمحيط الأطلسي والمحيط الهندي والمحيط المتجمد الشمالي والبحر الأبيض المتوسط والبحر الكاريبي وخليج المكسيك . خلال فترة الاستعمار البريطاني ، كانت البحار السبعة هي بحر باندا ، وبحر سيليبس ، وبحر فلوريس ، وبحر جاوة ، وبحر الصين الجنوبي ، وبحر سولو ، وبحر تيمور ، وإذا كان شخص ما قد أبحر في هذه البحار السبعة ، فهذا يعني أنه لقد أبحر وسافر إلى الجانب الآخر من العالم [2] .

يتضح من هذه الدراسة لمفهوم البحار السبعة في نصوص الأديان وحضارات العالم القديمة أن مفهومها مختلف تماماً عن مفهوم المحيطات السبعة المذكورة في القرآن والحديث . إن مفهوم البحار السبعة الموجود في المصادر اليهودية والإيرانية والهندية والرومانية محلي وإقليمي ويتعلق بهذه

[1] https://www.straightdope.com/٢١٣٤٢٥٢٥/what-are-the-seven-seas

[2] ملخص من ويكيبيديا : البحار السبعة .

الأمم والأديان ، لذلك فإن " البحار السبعة " لهذه الأديان والثقافات كانت موجودةً في المناطق التي يعيش فيها أتباع هذه الديانات والثقافات فقط ، فتوجد بحار اليهود السبعة في إسرائيل ، وتوجد بحار الإيرانيين السبعة في إيران ، وتوجد بحار الرومان السبعة في روما ، كما توجد بحار الهند السبعة في البنجاب (الهند) .

على العكس من ذلك ، فإن المحيطات السبعة المذكورة في القرآن والأحاديث النبوية تشير إلى الأرض كلها . ولا سيما إن الأحاديث النبوية تصرح بوضوح أن البحار السبعة منتشرة على سطح الأرض كله . كما قد ورد في الأحاديث أيضاً أن القارات منتشرة على الأرض على شكل جزر كبيرة ، وتحيط بها المحيطات من جميع الجهات وكل من القارتين مفصولة بمحيط . وقد تمت تغطية التفاصيل على هذا الموضوع في الصفحات السابقة ، لذلك ، بعد هذا التفسير ، لم يتبق أي مجال للشك في أن مفهوم " البحار السبعة " المذكور في المصادر الإسلامية هو مفهوم عالمي بينما مفهوم " البحار السبعة " الموجود في الديانات والثقافات الأخرى هو مفهوم إقليمي ومحلي . في الواقع ، هناك تلميح في هذا أن الإسلام هو دين عالمي . لذلك ، فهي تحمل رسالةً عالميةً موجهةً إلى البشرية جمعاء ، بينما حملت الأديان والثقافات الأخرى رسائل إقليميةً ومؤقتةً .

الإعجاز العلمي للأحاديث :

من الدراسة المقارنة للآيات القرآنية والأحاديث النبوية المختلفة المتعلقة بالجغرافيا وطبقات الأرض ، تبين أن هناك انسجاماً وتوافقاً تاماً بينها وبين الأبحاث والاكتشافات العلمية الحديثة . تثبت هذه النصوص الحقائق الجغرافية التي تعود إلى القرن العشرين بينما بعضها من الماضي القريب جداً . إن كل هذه الحقائق تشير إلى صحة وموثوقية الوحي الإلهي وتجعلنا نعتقد أن المعرفة ليست هي الوحيدة التي يتم الحصول عليها من خلال الحواس ، ولكن يوجد هناك مصدر آخر للمعرفة وهو الوحي الذي جاء به الأنبياء . فإن العلم الحديث نفسه يدعم مصدر المعرفة هذا من خلال أبحاثه واكتشافاته وابتكاراته العديدة .

ثانياً إنه يؤكد بشكل أساسي أن الوحي الإلهي يتكون من جزئين : أحدهما القرآن العظيم ، والآخر أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم . أي أن علوم الحديث الشريف واسعة وشاملة مثل علوم القرآن الكريم نفسه . إذن هذان المكونان متكاملان وغير قابلين للتجزئة ولا ينفصلان . كلاهما مفيد ومكمل لبعضهما البعض . لهذا السبب وصف النبي صلى الله عليه وسلم الحديث في مكان بأنه مثل القرآن الكريم : ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه [1] .

ثالثاً ، لم يذكر القرآن وجود سبعة محيطات إلا كإشارة وإيماءة ، بينما ورد هذا البيان بوضوح وصراحة في الأحاديث . إن هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في شأن وجود سبعة محيطات على وجه الأرض هي مثال رائع على الفرق بين أسلوب الاستدلال للقرآن والحديث في وصف الحقائق والظواهر الطبيعية . والحقيقة أنه وصف الحقائق والظواهر العالمية في القرآن في إيماءات وتلميحات ، بينما وردت هذه الحقائق والظواهر في الأحاديث بطريقة واضحة لا لبس فيها ولا التباس . وهذا يؤكد المبدأ أن الأحاديث هي تفسير القرآن الكريم . لذلك إذا كان هناك أي غموض أو ارتباك في أي بيان من القرآن ، فإن الأحاديث توضح غموضه وتشرح إيجاز هو تزيل تعقيده .

النقطة الرابعة والأخيرة في هذا الصدد والتي يجب أن تعطى أهمية وقيمة متساوية هي أن معظم الأحاديث التي نوقشت في هذه المقالة هي أحاديث مقطوعة (تلك الأحاديث التي يرويها التابعون موقوفاً عليهم قولاً أو فعلاً) ، أي أن جميع الأحاديث التي نوقشت أعلاه هي من أقوال الصحابة والتابعين ، وليست أقوال النبي صلى الله عليه وسلم . لذلك فإن مصدر أقوال الصحابة والتابعين من حيث المبدأ هو النبي صلى الله عليه وسلم ومصدر علمه صلى الله عليه وسلم هو الوحي الإلهي . وبهذه الطريقة ، يقدم العلم البراهين والأدلة اليوم على صحة وموثوقية الحديث وأصوله وصدق رواته .

[1] أحمد بن حنبل وأبو داود على المقدم بن معدي كرب بالإشارة إلى كنز العمال ، علاء الدين الهندي ، ١٧٤/١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٩م .

تيسير النحو عند إبراهيم مصطفى
(كتاب إحياء النحو أنموذجاً)

بقلم : الدكتورة عرفاني رحيم والأستاذ طفيل محمد ب *

إن تجديد النحو أو إحياءه مصطلحات تندرج تحت مفهوم عام هو تيسير النحو . فكانت محاولات كثيرة لتطوير النحو وتسهيله تلبية لحاجات المحدثين . " والتيسير في النحو هو النظرة الجديدة إلى الموضوعات النحوية من دون مسّ أصول اللغة وقواعدها ، على أن تعكس هذه النظرة للمتعلمين واقع اللغة التي يتعامل بها من دون حذف واختصار ، لأنّ التيسير ظاهرة من ظواهر التطور في اللغة " [1] . ويعدّ ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ) في كتابه " الرد على النحاة " من أوائل من شغلهم توجهات النحاة في التعليل بالعلل الثواني والثوالث والقياس والتمرينات غير العملية والعامل والتقدير الافتراضي ، وسعى إلى إلغائها . وعلى الرغم من أن عمل ابن مضاء القرطبي لم يكن مرتكزاً على الرغبة في تيسير النحو بالقدر الذي كان حسّاً عقيدياً من المذهب الظاهري ، فـ " اللغة في رأي الظاهرية مقدسة وكاملة لا تحتاج إلى تعديل أو زيادة ، لأنّها من عند الله خالق كل شيئ ، فهي توقيفية ، وإنّ العامل فيها هو المتكلم نفسه " [2] ، و " لم ترفض الظاهرية نظرية العامل وحدها ، بل كان لها رأي في العلة والقياس والإجماع ، لقد رفضت العلة إلا ما يخدم منها النص اللغوي ، أي تلك التي تصف ظاهر النص " [3] أي العلل التعليمية التي تختصر الإجابة عن التساؤلات بقولها هكذا قالت العرب .

إنّ الدعوة بعمل ابن مضاء لا ينبع من تبنيه الدعوة لتجديد النحو وتيسيره أو الإيمان بما آمن به ابن مضاء ، بل يرجع إلى أن أقوال المحدثين تبحث على أساس تسند نفسها إليه لتستمد عمقاً تراثياً هي في حاجة إليه ،

* الجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا ، أونتي بوره ، بلوامه كشمير .

[1] محمد عبد الخالق عظيمة وجهوده النحوية ، ٢٢٨ .

[2] ظاهرة الحذف في النحو العربي محاولة للفهم ، ٦٠ .

[3] المرجع السابق ، ٦١ .

وكأنه إذا قال أمراً لم يقله القدماء أو بعضاً منه يرتج عليه في المحافل العلمية ، أو أن تهوّن بعض تلك المحاولات بربطها بكتاب " الرد عل النحاة " .

لقد كان الأستاذ إبراهيم مصطفى صاحب أول محاولة رصينة للتجديد ، وقد وسم د . طه حسين كتابه بـ " إحياء النحو " ، وقد أضفى المنهج الوصفي الذي اعتمده الجدة على ما قدّمه ، وإن كانت بعض الأفكار قد سبقه القدماء بها .

إنّ إدراك مفهوم التيسير يعدّ من أساسيات نجاح مهمة الميسر ، ولقد أضحى التيسير والإصلاح ملبساً وملتبساً ، وفي ذلك قال بعض الباحثين : " ذلك لأنه لم يفصل فصلاً قاطعاً . . . بين النحو بوصفه دراسة علمية تحليلية لظاهرة إنسانية ذات أبعاد مشكلة ، هي الظاهرة المسماة باللغة ، ولا علاقة لذلك بأمر تعليمها للناس لغة ثانية ولا لغة أولى ، والنحو بوصفه تدريس اللغة وتلبية رغبة من يريد أن يتعلم لغة قوم هم العرب ، أما النحو الذي من النوع الأول فلا مدخل أصلاً لتيسيره وتسهيله ، لأن المعنيين به ليسوا من الطلاب ، ولا المختصين به من المعلمين . وسيبويه ليس معلماً . . . وأما النحو بالمعنى الثاني وهو المقصود بجهود التيسير فهو علم لم يوجد بعد ، وكان حرياً به أن يكون موجوداً ، أو في سبيل إيجاده على الأقل ، فهو علم آخر ينبغي له أن يكون بمثابة ما يعرف اليوم بـ " علم اللغة التطبيقي " أو ما يسمى " اللسانيات التطبيقية " التي هي ثمرة لعلم اللغة العام " [1] . وإن التيسير يمكن أن يكون على مستويات متعددة من :

مستوى اختصار المادة وتبسيطها على نحو ينسجم ولغة العصر وأمثلته .

مستوى الأصول المعتمدة في تحصيل قواعد النحو وتفريعاته ، وتفاصيل مسائله . بما فيها المنهج المعتمد للدراسة .

مستوى تعليم اللغات لغير الناطقين بها :

وتعد محاولة الأستاذ إبراهيم مصطفى من المحاولات التيسيرية على المستوى الثاني التي قد لم تصل إلى غايتها من إحياء النحو وإصلاحه وتطويره وتجديده ، وبياناً للحقيقة فإنه " لا شك في أن أجرأ الأصوات التيسيرية للنحو في الثلث الأول من هذا القرن هو صوت العالم الجليل الأستاذ إبراهيم مصطفى في كتابه القيم " إحياء النحو " الذي أصدره

[1] اللغة والكلام في التراث النحوي العربي ، ٩٢ .

عام١٩٣٧م ، وكان بحق قفزة في المنظور النحوي الصادق في دعوته إلى التجديد ، وطموحه إلى التيسير ، في مجالات محددة ، حاول من خلال بحثها نفض الغبار عن التراث العربي في النحو وإعادة الأصالة إليه في كشف علل الإعراب وفلسفة العامل ، ونقد المذهب النحوي في العامل " [١] . ويقول أحمد مطلوب : " وقد أثار هذا الكتاب ضجة ، وحمل الأزهريون وغيرهم على مؤلفه ، وألفت كتب في الرد عليه أهمها كتاب " النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة " للأستاذ محمد عرفة ، وعقد الأستاذ عبد المتعال الصعيدي في كتابه " النحو الجديد " مقارنة بين الكتابين " [٢] .

دلالة الإعراب في كتاب إحياء النحو :

لقد بدأ إبراهيم مصطفى شديد الحماس بأن يكون كتابه إحياءً للنحو من بعد موته الذي هو القالب التقليدي الذي أخذه عن المتأخرين الذين لم يروا من النحو إلا الكلمة وإعرابها وشروط ذلك الإعراب من الوجوب والجواز والمنع . ومن تحمس الأستاذ الشديد أن عجّل ما رآه من تتبعه الطويل هكذا قال في الكلام للبحث عن معانٍ للعلامات الإعرابية وعرضه في المقدمة ما توصّل إليه في طيات كتابه ، فقال : " لقد أطلت تتبع الكلام أبحث عن معانٍ لهذه العلامات الإعرابية ، ولقد هداني الله . . . وله خالص الإخبات والشكر إلى شيئ أراه قريباً ، وأبادر إليك الآن بتلخيصه : إن الرفع علم الإسناد . . وإن الجر علم الإضافة . . . وإن الفتحة ليست بعلم على إعراب ، ولكنها الحركة الخفيفة المستحبة التي يحبّ العرب أن يختموا بها كلماتهم . . . وإن علامات الإعراب في الاسم لا تخرج عن هذا . . . [٣] . ولو كانت هذه العلامات زائدة من دون معنى لما أبقت عليها العربية ، وهي لغة الإيجاز والقصد ، ولتخلصت منها كما تخلصت من أشياء كثيرة سواء في تراكيبها أو صيغها أو اشتقاقاتها .

وبعد أن يجمل فكرته في المقدمة يأتي بعد مباحث قليلة من كتابه تعد تمهيداً منهجياً لكتابه يفرد مبحثاً خاصاً لـ " معاني الإعراب " [٤] ، يستهدي فيه بما قرره في مبحث سابق : " أن من أصول العربية الدلالة

---

[١] نحو التجديد في دراسات الدكتور الجواري ، ٢٣ .
[٢] انظر أحمد مطلوب ، نحو التيسير .
[٣] انظر إحياء النحو ، إبراهيم مصطفى ، ص ١٢ .
[٤] المرجع السابق ، ٤٨ .

بالحركات على المعاني "[1] ، ولو أنها لم تكن كذلك ما رأينا العرب يلتزمون بها ، وتكون هذه له موطئاً في تصوير المعاني وإلا فإننا كنا سنراهم يتعاملون معها كما تعاملوا مع التاء عند إلحاقها بالوصف لتدل على التأنيث . وإذا اقتصر هذا الوصف على المؤنث فهم يحذفونها ويحذفون من الجملة ما دل عليه دليل ، سواء أكان حرف معنى أم كلمة : اسماً أو فعلاً ، واحدةً أو أكثر . كما أنهم قد يعاملون حركات الإعراب هذه المعاملة فيجرون الأصل السابق في حذف الزائد عند أمن اللبس ، كما قال ابن مالك في الكافية الشافية :

ورفع مفعول به لا يلتبس ونصب فاعل ، أجز ، ولا تقس[2]

وإذا كان ابن مالك قد رأى إجازة ذلك دون قياسهم عليه بمعنى أن هذهِ الظاهرة النحوية غير مطردة ، ومن ثم لا يقاس عليها فإن بعض علماء الأندلس وهو ابن الطراوة رأى أن ذلك يمكن القياس عليه لأنه من المأثور اللغوي ، وورد في القراءات السبع ، فقد قرأ ابن كثير المقرئ بمكة بنصب آدم ورفع كلمات قوله تعالى : (فَتَلَقَّى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٌ فَتَابَ عَلَيْهِ)[3] ، مع أنّ قراءة المصحف برفع آدم ونصب كلمات .

ولهذا قال إبراهيم مصطفى : " وإذا وجب أن ندرس علامات الإعراب على أنها دوال على معانٍ وأن نبحث في ثنايا الكلام عما تشير إليه كل علامة منها . ونعلم أن هذه الحركات تختلف باختلاف موضع الكلمة من الجملة وصلتها بما معها من الكلمات ، فأحرى أن تكون مشيرة إلى معنى في تأليف الجملة وربط الكلم وهو ما نراه "[4] . ولبيان صحة ما سبق فإنه يجمل ما رآه ثم يأتي إلى تفصيله ومناقشته في أبواب النحو باباً باباً .

الحركات دالة على المعاني :

إن إبراهيم مصطفى قد أجمل رأيه في العلامات الإعرابية بقوله : " فأما الضمة فإنها علم الإسناد أو دليل أن الكلمة المرفوعة يُراد أن يسند إليها ويتحدّث عنها . وأما الكسرة فإنها علم الإضافة ، أو إشارة إلى ارتباط الكلمة بما قبلها ، سواء كان هذا الارتباط بأداة أو بغير أداة ،

---

[1] المرجع السابق .
[2] شرح الكافية لابن مالك ، ٦١٦ .
[3] سورة البقرة : ٣٧ .
[4] انظر إحياء النحو ، ٤٩ .

كما في " كتابُ محمدٍ ، وكتابٌ لمحمدٍ " ، ولا تخرج الضمة ولا الكسرة عن الدلالة على ما أشرنا إليه ، إلا أن يكون ذلك في بناء أو في نوع من الإتباع . أما الفتحة فليست علامة إعراب ولا دالة على شيئ ، بل هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب التي يراد أن تنتهي بها الكلمة كلما أمكن ذلك ، فهي بمثابة السكون في لغة العامة " [1] .

وهو ينفي كون الضمة والكسرة بقية لمقطع صوتي كأنه يشير إلى رأي قطرب الذي رأى أن وضع الحركات وتنوعها ذو أساس صوتي ، وأنها جلبت لأنّ السكون يبطئ الكلام فكان التحريك كيلا يبطئوا في الإدراج ، وللاتساع وعدمٍ التضييق على أنفسهم [2] . كما أن هذه العلامات من عمل المتكلم لا أثراً للعوامل التي قال بها النحاة لأنه يرى أنه بذلك تخضع الجملة لإرادة المتكلم الذي يتبوأ عند إبراهيم مصطفى منزلة العامل الجوهري ، وله أن يستعمل هذه العلامات لما يريد من المعاني . وهو في سبيل إبراز أثر المتكلم يعمد إلى أقوال المتقدمين في هذا المجال فيورد رأي قطرب – الآنف الذكر – ثم رأي أبي إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ) أنّ العامل في المبتدأ ما في نفس المتكلم من إرادة الإخبار عنه [3] . ثم رأي تلميذه أبي القاسم الزجاجي (ت ٣٣٧هـ) الذي يذهب فيه إلى أن الأسماء لما كانت تعتريها المعاني وتكون فاعلةً ومفعولةً ومضافةً جعلت الحركات الإعرابية تنبئ عن تلك المعاني ، وتدل عليها لأنّه لا في صور الأسماء ولا في أبنيتها ما يدل على إعرابها ، وكان في هذا متسع لهم في تقديم البنى وتأخيرها [4] . لكن هذا الرأي لم يبين أثر المتكلم كما في الرأيين السابقين إلاّ أنه يندرج في إطار موضوع دلالات الحركات .

وبعد أن بين أن رأيه في أثر المتكلم مسند بكلام المتقدمين يدعو القارئ إلى مسايرته وألاّ يستنكر عليه ذلك . لما في كلامه من تأصيل ، وأنّ عمله هذا غير بعيد عن معطيات المتقدمين . على أن ما أجمله إبراهيم مصطفى تداخلت فيه نظرتان ، نظرته إلى الحركات ونظرته إلى العامل فيها ، وكان الأجدى أن يلغى هذا التداخل ؛ لأنه أفرد مكاناً للبحث في العامل في موضوع أصل الإعراب . ولا يبعد أن يكون لتحمس الكاتب

---

[1] المرجع السابق ، ٥٠ .
[2] المرجع السابق ، ٥١ .
[3] معاني القرآن وإعرابه ، ١٢٣ .
[4] الإيضاح في علل النحو ، ٦٩

الشديد لما كتبه وسرعته في عرض آرائه من دون رويّة الأثر في هذا التداخل

ثم يأتي الأستاذ بالتفصيل لبيان صدق نظريته وما يمكن أن يرد ما قد يستدرك عليها . ونحن في عرضنا هذا نساير الأستاذ ونأتي إلى خطواته متابعين له :

الضمة علم الإسناد :

قال إبراهيم مصطفى : " الأصل الأول أن الضمة علم الإسناد ، وأن موضعها هو المسند إليه المتحدث عنه " [1] . ويُدخل الأستاذ تحت مصطلح المسند إليه ، ثلاث وظائف نحوية هي : المبتدأ ، والفاعل ، ونائب الفاعل ، وهي المرفوعات ، ويرى أنه لا داعٍ لتفريقها في التناول وينبغي أن توضع تحت هذا المصطلح وتتناول على وفق هذه الوظيفة العامة . ومع اتفاقها وتماثلها في أحكامها أوجب أن تكون باباً واحداً [2] . فنائب الفاعل لا يفرقه النحاة في الأحكام عن الفاعل ، بل إنّ منهم من رسم لهما باباً واحداً . ومن هنا يتساءل منكراً أو مستبعداً وجود فرق بين جملتي : كُسِر الإناءُ وانكسر الإناء . إلا ما يُرى من دلالة الصيغة في تصوير المعنى .

ويقول أيضاً : " وأما الفاعل والمبتدأ ، فإن النحاة يجعلون بينهما فوارق ماثلة ظاهرة ، ويجعلون لكل باب أحكاماً خاصة " [3] . لكن التروي في النظر للأساليب العربية يؤدي بنا إلى توحيد وظيفتهما واتفاقهما في الأحكام . والذي يحدث في حقيقة الأمر أن الاسم إذا تقدم يسمى مبتدأً ، وإذا تأخر فيسمى فاعلاً ، كما في جملتي : (الحق ظهر ، وظهر الحق) . وبسبب هذه التسميات فهم يحرمون تأخر الحق وهو المبتدأ عن الفعل ويحرمون تقديم الحق وهو الفاعل في ظهر الحق ، وهذا خاص بالبصريين منهم دون الكوفيين . وسواء تقدم هذا أم تأخر ذلك ، فكلاهما أسلوب عربي مقبول . أما الحكم النحوي فحكم صناعي من خارج اللغة . وجعلهما تحت اصطلاح المسند إليه يبيح حرية التقديم والتأخير بحسب المعاني فيقول : " والعربية في هذا الاسم المتحدث عنه أو المسند إليه يتقدم على المسند ويتأخر عنه ، سواء كان المسند اسماً أم فعلاً . وهذا أصل من أصول العربية في حرية الجملة والسعة في تأليفها " [4] .

---

[1] انظر إحياء النحو ، ٥٣ .

[2] المرجع السابق ، ٥٤ .

[3] المرجع السابق .

[4] المرجع السابق ، ٥٥ – ٥٦ .

ويرى أن الحكم الثاني في الفرق بين المبتدأ والفاعل كون المبتدأ يمكن حذفه ولا يجوز حذف الفاعل ، وإذا اختفى فهو ضمير مستتر ، ويرى أنه لا وجه للالتزام بذلك ، فما هو إلا اصطلاح نحوي .

أما الحكم الثالث فتشترط المطابقة العددية بين المبتدأ وخبره ، ولا مطابقة بين الفعل والفاعل ، ولكن التأمل يبين أن حكم المطابقة واحد في البابين . ويعلقهما بمسألة تقدم المسند إليه أو تأخّره ، فإذا تقدم على المسند اشترطت المطابقة ، وإذا تأخر عن المسند لم تشترط المطابقة كما يأتي :

الشهداء فازوا ، فاز الشهداء ، الشهداء يفوزون ، يفوز الشهداء ، الشهداء فائزون ، فائز الشهداء . وكذا الحكم الرابع فيما يفرقون به بين المبتدأ والفاعل ، وهو المطابقة في النوع : أي التذكير والتأنيث فيرى أن المسند إليه إذا تقدم كانت المطابقة أدق وألزم ، وإذا تأخر كانت أقل التزاماً . كما في (أمطرت السماء) ويجوز (أمطر السماء) لأنه مؤنث مجازي ، ولا يجوز إلا (السماء أمطرت) . على أن هناك من العرب من التزم المطابقة في العدد تأخر المسند إليه أو تقدم وهم الطائيون وبلحارث ابن كعب ، وهي لغة : أكلوني البراغيث [1] .

ويرى الأستاذ إبراهيم مصطفى أن المطابقة العددية كانت الأصل في العربية ثم خصصت بالمسند إذا تأخر لتكون إشارة إلى المسند إليه المتقدم ، وبقي من ذلك آثار من لغات اليمن وأمثلة نادرة في لغات العرب ومن أمثلة في القرآن الكريم والحديث الشريف وفي شيئ من أشعار المضريين . وبقي أن يشير الأستاذ إلى بابين من المرفوعات لا يدخلان تحت الأصل المقرر المسند إليه ، وهما المنادى الفضلة في بعض حالاته ومنصوب إن وأخواتها .

الخاتمة :

يعد كتاب إحياء النحو من أشهر محاولات التيسير المعاصرة ، وأول كتاب ظهر في العالم العربي في العصر الحديث ، وينقد فيه نظريات تقليدية ، ونادى فيه بإصلاح النحو وتيسيره ونقد النحاة ، وسعى فيه إلى تغيير منهج البحث النحوي . ويبدو فيه تأثر المؤلف بعدد من النحاة القدامى في الحركات الإعرابية هي من عمل المتكلم وتأثر منهم في إلغاء نظرية العامل وبعض المسائل . ومهما يكن من شيئ فإن إحياء النحو منبعاً مهماً ينهل منه الدارسون الذين أتوا من بعده .

---

[1] شرح الكافية ، ٥٧٧ .

شعر الصحابي الجليل الجارود العبدي رضي الله عنه
دراسة موضوعية فنية

(الحلقة الثانية الأخيرة)

أ . د . سيد جهانغير *

هذا شاعر أهمله مؤرخو الأدب ، وغفل عنه نقاد الأدب ، ولكن شعره مبثوث في ثنايا الحوادث التاريخية ، والروايات الحديثية ، ولكن لا نعرف مدى صحة تلك الروايات ، وبخاصة في اقتران اسمه بآخر من القبيلة نفسها ، ثم ضن علينا المؤرخون في إيراد معظم أشعاره ، لذا صعب علينا تتبع آثاره الشعرية ، واقتصر ما بقي من شعره على العصر الإسلامي ، وبخاصة أن تسجيل التاريخ أتى متأخراً ، وفي العصر العباسي ، حيث فقد كثير من تراث عصر صدر الإسلام .

كانت هذه العوامل مجتمعة ، فإنها قد أسدلت الستار على هذا الصحابي رضي الله عنه كشاعر ، وهناك سبب يبدو له تأثير فعال في عدم وصول شعره إلا هذا القدر اليسير من شعر هذا الصحابي رضي الله عنه ، وهو كراهية الشعر في عصر صدر الإسلام ، والاكتفاء بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة – على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل السلام ، فضلاً عن اشتغال الصحابة رضي الله عنهم بالكثير من الغزوات والسرايا ، واشتغالهم بالعبادات ، وبذل جهودهم في سبيل إرساء قوائم الدين القيم وتثبيت أركان الدعوة الإسلامية .

الصحابي الشاعر الجارود رضي الله عنه نظم قصائد المدح متأثراً بالإسلام ، وبرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء شعره منعكساً لمبدئه الإسلامي ، وثباته على الحق ، ولم نر في شعره ما يميزه عن سائر شعراء عصره في مديح رسول الإسلام – عليه الصلاة والسلام – وبعض الصور الفنية في شعره صور بسيطة ، واضحة المعنى ، وطريقة بناء القصيدة تقليدياً ، ولا يوجد ابتكار ، أو غموض في قصائده .

* أستاذ اللغة العربية وآدابها ، جامعة الإنجليزية واللغات الأجنبية الحكومية الوطنية ، حيدرآباد ، الهند .

لغة المديح عند سيدنا الجارود رضي الله عنه مثلها سائر المادحين للرسول صلى الله عليه وسلم في عصر صدر الإسلام ، ولم يخرج عن إطار القصيدة التقليدية ، والألفاظ تبدو ساذجة في المديح ، أو طلب الشفاعة ، ولم يتمكن من الخروج عن ذلك الإطار اللغوي لعصره .

توثيق ما بقي من شعره الذي دارت حوله الدراسة :

من مشطور الرجز :

(١)

لَوْ كَانَ شَيْئاً أَمَماً أكلَتُهْ
أَوْ كَانَ مَاءً سَادِماً جَهَرْتُهْ
لَكِنَّ بَحْراً جَاءَنَا أَنْكَرْتُهْ

الشرح :

- أمم : النعمة ، وقيل : رغد العيش .
- ماءً سادماً : متغيراً .
- جهرته : نقيته وأخرجت ما فيه من الحمأة .

التخريج :

- تاريخ الطبري ، للطبري ، ٤ : ٨٠ ، ذكر : ١ — ٣ .
- شعراء عبد القيس وشعرهم ، في العصرين الإسلامي والأموي ، د . عبد الحميد المعيني ، ص ١٢٧ ، ذكر : ١ — ٣ .

وقال من الطويل :

(٢)

شَهِدتُ بِأنَّ اللّهَ حَـقٌّ وسَامَـحَـتْ ... بَـنَـاتُ فُـؤادِي بِالـشَّـهادَةِ والنَّهْضِ
فَأَبْلِـغْ رَسُولَ اللّهِ عَـنِّـي رِسَالَةً ... بِأَنِّي حَنِيفٌ حَـيْـثُ كُنتُ مِنَ الأَرْضِ
وأَنتَ أَمِـيـنُ اللّهِ فِي كُـلِّ وِجْهَةٍ ... عَلَى الوَحْيِ بَينَ الـقَـضِـيضَةِ والقَضِ
فَإنْ لاَ تَـكُنْ دَارِي بِيَثْرِبَ فِيكُمُ ... فَإِنِّـي لَـكُـمْ عِنْدَ الإِقَامَةِ والخَفْضِ
أُصَالِحُ مَنْ صَالَحْتَ مِن ذِي عَداوَةٍ ... وأُبْغِضُ مَنْ أَمْسَى عَلَى بُغْضِكُم بُغْضِي
وأُدْنِي الَّـذِي وَالَـيـتَـهُ وأُحِـبُّهُ ... وإِنْ كَـانَ فِي فِـيـهِ العَلاقِمُ مِن عَضِّي
أَذِبُّ بِسَيْفِي عَنْكُم وأُجِـيـبُكُمْ ... إِذا ما دَعَـوتُـمْ فِي الـوِفاقِ وفِي النقضِ
وأَجعَلُ نَـفْـسِي دُونَ كُـلِّ مُلِمَّةٍ ... لَكُمْ جُنّةً ، مِنْ دُونِ عِرْضِكُمُ عِرْضِي

الشرح :

- النَّهْضِ : تناهضوا في الحرب ، نهض كل إلى صاحبه .

- القَضِ : الحصا الكبار . والقضيض : الحصا الصغار . أي من الأول للآخر .
- الخَفْضِ : من خفض العيش : إذا سهل وتيسر .
- أغضى على الشيئ : سكت عنه .
- العلاقم : جمع علقم : وهو المر .
- أَذِبُّ : من ذّب أي دفع ومنع .
- الملمة : المصيبة ، والكارثة .

التخريج :

- منح المدح ، لابن سيد الناس ، ص ٦٤ – ٦٥ ، ذكر : ١ – ٨ .
- الإصابة في تمييز الصحابة : لابن حجر العسقلاني ، ١ : ٢١٦ – ٢١٧ ، ذكر : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٨ .
- طبقات الكبرى ، لابن سعد ١ : ٣١٤ ، ٣١٥ ، (وفود عبد القيس) .
- جامع الرواة ، للأردبيلي ، ١ : ١٤٦ .
- الأنساب ، للسمعاني ، ٤ : ١٣٥ .
- أعلام الثقافة الإسلامية ، سالم النويدري ، ص ١٨٠ ، ذكر : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٨ .
- أعيان الشيعة ، للسيد الأمين ، ٥٦ : ٤ – ٥٧ ، ذكر : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٨ .

اختلاف الروايات :

- أعلام الثقافة الإسلامية ، سالم النويدري ، أربعة أبيات ، جاء ترتيب الأبيات على النحو التالي : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٨ . مع بعض الاختلاف في الألفاظ ، مع ابن سيد الناس ، (منح المدح) .
- الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني ، أربعة أبيات ، جاء ترتيب الأبيات على النحو التالي : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٨ . مع بعض الاختلاف في الألفاظ ، مع ابن سيد الناس ، (منح المدح) .

(١) ١ – ..... حَق ....
(٢) ..... بأنِّي.....
(٤) ٣ – فَإِنْلم ....

- أعيان الشيعة ، للسيد الأمين ، أربعة أبيات . الترتيب نفسها

والاختلاف الموجود في الإصابة .

وقال من الخفيف :

(٣)

يَا نَـبِـيِّ الهُـدَى أَتَـتْـكَ رِجَـالٌ ... قَـطَـعَـتْ قَـرْدَداً وآلاً فَـآلا

جَابَتِ البِيدَ والمَـهَـامِـهَ حَـتَّـى ... غَالَهَا مَن طَوَى السُّرَى مَا غَـالا

قَطَعَتْ دونَكَ الصَّحَاصِحَ تَـهْـوِي ... لا تَعُدُّ الكِلالَ فِـيـكَ كِـلالا

كُلُّ دَهْنَاءَ تَـقْـصِرُ الطَّرْفَ عَنْهَا ... أَرْقَـلَـتْـهَـا قِلاصُـنا إِرْقَالا

وَطَـوَتْـهَـا العِتَاقُ تَـجْـمَعُ فِيهَا ... بِـكُـمَـاةٍ مِـثْلَ النُّجُومِ تَلالا

ثُمَّ لَمَّا رَأَتْـكَ أَحْـسَـنَ مَـرْأَى ... أَفْـحَـمَـتْ عَنْكَ هَيْبَةً وَجَلالا

تُتَقِّي شَرَّ بَـأْسِ يَـومٍ عَـصِـيـبٍ ... هَـائِـلٍ أَوْجَـلَ القُلُوبَ وَهَالا

ونِـدَاءً لِـمَـحْشَـرِ النَّاسِ طُـرّاً ... وحِـسَـاباً لِـمَن تَمَادَى ضَلالا

نَـحْـوَ نُـورٍ مِنَ الإِلهِ وبُـرْهَانٍ ... وبَـزٍّ ونِـعْـمَـةٍ لَنْ تَـنَـالا

وأَمَـانٍ مِـنْـهُ لَدى الحَشْرِ والنَّشْرِ ... إِذْ الخَلْقُ لا يَـطِـيـقُ السُّؤَالا

فَلَكَ الحَوْضُ والشَّفَاعَةُ والكَوْثَرُ ... والفَضْلُ إِذْ يَـنُـصُّ السُّـؤَالا

فَـلَـكَ الحَوْضُ خَصَّكَ يا بْنَ آمِنَةَ ... بِالْخَيْرِ إِذَا مَا تَلَتْ سِجَالاً سِجَالا

أَنْـبَـأَ الأَوَّلُـونَ بِـاسْـمِكَ فِينَا ... وبِأَسْـمَاءٍ بَـعْـدَهُ تَـتَـتَالا

فَـاجْـعَـلِ الـحَظَّ مِنْكَ يَا حُجَّةَ اللّٰهِ جَزِيلاً لا حَظَّ خَـلْـفٍ أَحَالا

- البيت الرابع عشر من تحفة المستفيد ٢ : ٢٩٦ .

الشرح :

- وآلاً فَآلاَ ، الآل : السراب .
- قَرْدَد : الموضع المرتفع من الأرض ، ويقال : الأرض المستوية .
- المهامه : جمع مهمه ، وهي الصحراء .

غالها : أخذها بعيداً ، غاله الشيئ يغوله غولاً : أهلكه وأنهكه .

- الصَّحَاصِحَ : مفردها الصحصح : ما استوى من الأرض وكان أجرد .
- الدَهْنَاءَ : الفلاة . والدهناء صحراء في نجد ، وهي طويلة ، وتمتد من حزن ينسوعة إلى رمال يبرين في الجنوب .
- أرْقَل المَفازَة : قطعها .
- القِلاص : مفردها قلوص ، من الإبل : طويلة القامة ، الشابة منها أو الباقية على السير .

- جَمَح الفرس : تَغَلَّب على راكبه وذهب به ، لا ينثني .
- السِّجَال : مفردها السجل : الدلو العظيمة فيها ماء ، قلَّ أو كثر .

التخريج :

- بحار الأنوار ، للمجلسي ، ١٥ : ٢٤٢ ، ١٣ بيتاً – و ١٨ : ٢٩٤ – ٢٩٥ ، فيه ١١ بيتاً .
- تحفة المستفيد ، لمحمد آل عبدالقادر ٢ : ٢٩٦ ، ذكر تسعة أبيات : ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٢ ، ١٤ .
- أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين لسالم النويدري ١ : ١٨٣ ، ذكر عشرة أبيات .
- عيون الأثر ، لابن سيد الناس ، ٢ : ٢٩٩ ، ذكر خمسة أبيات .

اختلاف الروايات :

- البيت الرابع عشر زيد من تحفة المستفيد ، لمحمد آل عبد القادر ، وذكر تسعة أبيات وهي : ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٢ ، ١٤ . مع اختلاف بعض الألفاظ .
- أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين لسالم النويدري ، ذكر عشرة أبيات وهي : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٣ . مع اختلاف بعض الألفاظ .
- عيون الأثر ، لابن سيد الناس ، ذكر خمسة أبيات وهي : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٧ . مع اختلاف بعض الألفاظ .

وكما قال من الوافر :

(٤)

أَتَـيْـتُـكَ يَـا ابْـنَ آمِنَةَ رَسُولاً ... لِكَي بِكَ أَهْتَدِي النَّهْجَ السَّبِيلاَ
فَقُلْتَ فَكَـانَ قَـولُكَ قَـوْلَ حَقٍّ ... وَصِـدْقٍ مَـا بَـدَا لَكَ أَنْ تَقُولاَ
وَبَصَرْتَ العَمَى مِنْ عَبْدِ شَـمْسٍ ... وَكُلاًّ كَانَ فِـي شَـمْسٍ ظَلِيلاَ
وَأَنْـبَـأْنَـاكَ عَـنْ قُسٍّ الإِيَادِي ... مَـقَـالاً أَنْتَطَلْـتَ بِـهِ جَدِيلاَ
وَأَسْمَـاءَ عَـمَّـتْ عَـنَـا فَآلَتْ ... إِلى عِلْمٍ وَكُـنْـتُ بِـهَا جَهُولاَ

التخريج :

- مناقب آل أبي طالب ، لابن شهر أشوب المازندراني ، ص ٣٥٠ ، ذكر : ١ – ٥ .

زبدة التفاسير للقدماء المشاهير لشيخ الإسلام بن قاضي القضاة عبد الوهاب الغجراتي : دراسة تحليلية

(الحلقة الثانية)

الباحث : خليل الرحمن الندوي *

تحقيق عنوان الكتاب :

توصلت خلال الدراسة إلى عدة دلائل تثبت أن عنوانه زبدة التفاسير للقدماء المشاهير ، منها ما يأتي :

١. سمَّاه المؤلف في مقدمته لهذا الكتاب بـ " زبدة التفاسير للقدماء المشاهير " .
٢. توجد نسخة (ر) بهذا الاسم .
٣. ذكره بهذا الاسم غير واحد من العلماء والمؤرخين ، منهم :

- أليف الدين ترابي بن عالم الدين القريشي [١] .
- سعيد حسن بن محمد مرتضى الحسيني الندوي [٢] .
- ذكره المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بهذا الاسم [٣] .
- الدكتور سالم القدوائي [٤] .

* بلرامفور ، أترابراديش – الهند .

[١] أليف الدين ترابي . الأستاذ أبو الأعلى المودودي ومنهجه في تفسير القرآن الكريم . الطبعة : الأولى ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، الناشر : جامعة أم القرى ، ص ٣١١ .

[٢] سعيد حسن بن محمد مرتضى الحسيني الندوي . المكتبة القرآنية في الهند في القرن الثاني عشر الهجري المطبوع منها والمخطوط . الطبعة الأولى ، ٢٠١٨م ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، ص ١٠٢ .

[٣] المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية . الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط : علوم القرآن ، مخطوطات التفسير وعلومه . سنة الطبع : ١٩٨٩م ، الناشر : المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ، عمان ، ج ٢ ، ص ٧٤٣ ، ١٢٠٢ .

[٤] قدوائي ، د . سالم . هندوستاني مفسرين اور ان كي عربي تفسيرين ، الطبعة :

تحقيق نسبة الكتاب إلى المؤلف :

توجد عدة دلائل تدل على صحة نسبة الكتاب إلى المؤلف ، منها ما يأتي :

١. صرح المؤلف في مقدمته لهذا الكتاب بنسبته إليه قائلاً : سميته بـ " زبدة التفاسير للقدماء المشاهير " .

نسخة (ر) تدل على نسبة الكتاب إلى المؤلف حيث كتب على صفحتها الأولى : " زبد التفاسير للقدماء المشاهير لشيخ الإسلام بن قاضي القضاة عبد الوهاب الحنفي " .

ذكره الدكتور سالم القدوائي في كتابه ، ونسبه إلى المؤلف بلفظ : " زبدة التفاسير للقدماء المشاهير لشيخ الإسلام بن قاضي عبد الوهاب غجراتي (المتوفى ١١٠٩هـ) " [١] .

عده سعيد حسن بن محمد مرتضى الحسيني الندوي في التفاسير المؤلفة في القرن الثاني عشر الهجري بالهند ، ونسبه إلى المؤلف بلفظ : زبدة التفاسير للقدماء المشاهير لشيخ الإسلام بن قاضي القضاة عبد الوهاب الحنفي الأحمد آبادي الكجراتي م ١١٠٩هـ [٢] .

عده أليف الدين ترابي بن عالم الدين القريشي في التفسير بالمأثور ، ونسبه إلى المؤلف قائلاً : وأما التفسير بالمأثور فأهم التفاسير على هذا المنهج كالآتي : ... الثاني : زبدة التفاسير للقدماء المشاهير لشيخ الإسلام بن قاضي عبد الوهاب الكجراتي المتوفى عام ١١٠٩هـ [٣] .

قام المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بنسبة الكتاب إلى المؤلف حيث ذكر مؤلف الكتاب أولاً ثم كتابه هذا بلفظ : " الأحمد آبادي (شيخ الإسلام بن القاضي عبد الوهاب الكجراتي الحنفي) ت ١١٠٩هـ .

أ – زبدة التفاسير للقدماء المشاهير " [٤] .

الأولى ، مارس ١٩٩٣م ، دار النشر : إداره معارف إسلامي لاهور ، ص ٨٧ .

[١] هندوستاني مفسرين اور ان كي عربي تفسيرين ، ص ٨٧ .

[٢] المكتبة القرآنية في الهند في القرن الثاني عشر الهجري المطبوع منها والمخطوط ، ص ١٠٢ .

[٣] الأستاذ أبو الأعلى المودودي ومنهجه في التفسير ، ص ٣١١ .

[٤] الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط : علوم القرآن – مخطوطات التفسير وعلومه ، ج ٢ ، ص ٧٤٣ .

زمان تأليف الكتاب :

تم تأليف هذا الكتاب في النصف الأخير من القرن الحادي عشر كما ذكر المؤلف في مقدمته : " فشرعت فيما أردت معتصماً بحبل توفيق الله الكبير المتعال ، فتيسر الإتمام بمنه سنة ثلاث وتسعين وألف الهجرية على أحسن المنوال " . وكذا ذكر الدكتور سالم القدوائي [1] .

وأما ما وجد في كتاب أليف الدين ترابي بن عالم الدين القريشي أن المؤلف قد ألف كتابه هذا عام ١٩٠٣ من الهجرة فهو من زلات الكتابة .

وأما ما عده سعيد حسن بن محمد مرتضى الحسيني الندوي في التفاسير المؤلفة في القرن الثاني عشر الهجري فهو باعتبار أن المؤلف قد توفي في النصف الأول من القرن الثاني عشر من الهجرة عام ١١٠٩هـ ، ويدل على ذلك ما قد ذكره سعيد حسن الحسيني في غضون ترجمة شيخ الإسلام قائلاً : وتفسيره هذا مخطوط في مكتبة رضا برامفور ٢٧٨/١ ، في ٧٣٧ صفحة ، ألف في عام ١٠٩هـ .

سبب تأليف الكتاب :

تولى المؤلف نفسه بيان سبب تأليف الكتاب حيث قال في مقدمته : إنه غير خافية على ذوي عقول صافية أن علم التفسير من أجل المطالب وأسناها ، وأشرف المآرب وأعلاها ، فإنه رئيس العلوم الدينية ورأسها ، ومبنى قواعد الشرع وأساسها ، وقد وقع في ذهني العليل عند تلاوة كلام الله الجليل أن أجمع من تفاسير المتقدمين مختصراً يعين القارئ على فهم المعاني عند قراءة القرآن .

مصادر الكتاب :

خلال دراسة هذا الكتاب والموازنة بينه وبين الكتب الأخرى من التفاسير قد ظهر لي أن المؤلف قد أكثر عنايةً بالاستفادة من تفسير البغوي وتفسير البيضاوي وتفسير الجلالين وتفسير الرازي وتفسير الزمخشري وتفسير النسفي ، وتفسير النيسابوي ، وأذكر هنا تأئيداً

[1] نفس المرجع ، ص ٨٨ .

وتقويةً لرأيي هذا مثالاً واحداً من سورة الفاتحة وغيرها .

قال المؤلف : " (بسم الله) اسم للمعبود بالحق ، لم يطلق على غيره تعالى ، (الرحمن) فعلان من رحم ، وهو الذي وسعت رحمته كل شيئ ، (الرحيم) فعيل منه ، وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ؛ لأن في الرحيم زيادةً واحدةً ، وفي الرحمن زيادتين ، ولذا جاء في الدعاء : يا رحمن الدنيا ؛ لأنه يعم المؤمن والكافر ، ورحيم الآخرة ؛ لأنه يخص المؤمن " ، وقال الزمخشري في الكشاف : الإله اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بالحق ، ... وأما (الله) بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق ، لم يطلق على غيره ، ... (الرحمن) فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر ، وكذلك (الرحيم) فعيل منه كمريض وسقيم من مرض وسقم ، وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ؛ ولذلك قالوا : رحمن الدنيا والآخرة ، ورحيم الدنيا ، ويقولون : إن الزيادة في البناء لزيادة المعنى [1] ، وفي تفسير النسفي : وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ؛ لأن في الرحيم زيادة واحدة ، وفي الرحمن زيادتين ، وزيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى ، ولذا جاء في الدعاء : يا رحمن الدنيا ؛ لأنه يعم المؤمن والكافر ، ورحيم الآخرة ؛ لأنه يخص المؤمن [2] .

قال المؤلف : (الحمد لله) الحمد هو الوصف بالجميل على الجميل الاختياري على جهة التبجيل . وقال النسفي : (الحمد) الوصف الجميل على جهة التفضيل [3] ، وقال البيضاوي : (الحمد لله) الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة أو غيرها [4] .

قال المؤلف : (رب العالمين) الرب في الأصل بمعنى التربية ثم

---

[1] الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو . الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، الناشر : الدار الكتب العربي ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٧هـ ، ج ١ ، ص ٦ .

[2] النسفي ، أبو البركات عبد الله بن أحمد ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، الناشر : دار الكلم الطيب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م ، ج ١ ، ص ٢٨ .

[3] نفس المصدر ، ٢٩/١ .

[4] البيضاوي ، أبو سعيد عبد الله بن عمر ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ ، ج ١ ، ص ٢٧ .

وصف به للمبالغة كالعدل ، قال الزمخشري : الرب : المالك ، ... ويجوز أن يكون وصفاً بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل [1] ، وقال البيضاوي : (رب العالمين) الرب في الأصل مصدر بمعنى التربية ، ... ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل [2] .

قال المؤلف : (الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين) أي : مالك الأمر كله في يوم الجزاء ، قال السيوطي في تفسير الجلالين : (مالك يوم الدين) أي الجزاء ، وهو يوم القيامة ، ... ومن قرأ " مَالِكِ " فمعناه مالك الأمر كله في يوم القيامة [3] .

قال المؤلف : (إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم) أي : ثبتنا على المنهاج المستوي ، وقال النسفي : (اهدنا الصراط المستقيم) أي : ثبتنا على المنهاج الواضح [4] ، وقال البيضاوي : المستقيم : المستوي ، والمراد به طريق الحق [5] .

قال المؤلف : (صراط الذين أنعمت عليهم) وهم المؤمنون أو الأنبياء عليهم السلام ، قال النسفي : (صراط الذين أنعمت عليهم) بدل من الصراط ... وهم المؤمنون أو الأنبياء عليهم السلام [6] .

قال المؤلف : (غير المغضوب عليهم) بدل من " الذين " ، وغضب الله إرادة الانتقام من المكذبين وإنزال العقوبة بهم ، قال الزمخشري : غضب الله هو إرادة الانتقام من العصاة وإنزال العقوبة بهم [7] ، وقال النسفي : (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) ... وغضب الله إرادة

---

[1] انظر : تفسير الزمخشري ١٠/١ .
[2] انظر : تفسير البيضاوي ٢٨/١ .
[3] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي ، تفسير الجلالين ، الناشر : دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ص ٢ .
[4] انظر : تفسير النسفي ٣٢/١ .
[5] انظر : تفسير البيضاوي ٣٠/١ .
[6] انظر : تفسير النسفي ٣٣/١ .
[7] انظر : تفسير الزمخشري ١٧/١ .

الانتقام من المكذبين ، وإنزال العقوبة بهم [1] .

قال المؤلف : (ولا الضالين آمين) صوت سمي به الفعل الذي هو استجب ، وهو ليس من القرآن ، قال عليه السلام : " لقني جبرئيل آمين عند فراغي من فاتحة الكتاب ، وقال : إنه كالختم على الكتاب " ، قال الزمخشري : آمين : صوت سمي به الفعل الذي هو استجب ، ... وعن النبي صلى الله عليه وسلم : " لقنني جبريل عليه السلام آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب ، وقال : إنه كالختم على الكتاب " [2] ، وكذا في تفسير النسفي [3] .

قال المؤلف في تفسير قوله تعالى : (وهو ألد الخصام) شديد الخصومة لك ، وهو أخنس بن شريق ، كان منافقاً ، حلو الكلام ، أنه تعالى بين أن الذين يشهدون مشاعر الحج فريقان : كافر وهو الذي يقول : " ربنا آتنا في الدنيا حسنةً " ومؤمن وهو الذي يقول : " ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً " ، بقي المنافق وقد ذكره في هذه الآية وشرح صفاته وأفعاله ، وقال السيوطي في تفسير هذه الآية : (وهو ألد الخصام) شديد الخصومة لك ، ... وهو الأخنس بن شريق ، كان منافقاً ، حلو الكلام للنبي صلى الله عليه وسلم [4] ، وقال الرازي : اعلم أنه تعالى لما بين أن الذين يشهدون مشاعر الحج فريقان : كافر وهو الذي يقول : " ربنا آتنا في الدنيا) ومسلم وهو الذي يقول : " ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً " [البقرة : ٢٠١] ، بقي المنافق ، فذكره في هذه الآية ، وشرح صفاته وأفعاله [5] .

قال المؤلف في تفسير قوله تعالى : (ما كان إبراهيم يهودياً ولا

---

[1] انظر : تفسير النسفي ٣٣/١ .
[2] انظر : تفسير الزمخشري ١٧/١ .
[3] انظر : تفسير النسفي ٣٤/١ .
[4] انظر : تفسير الجلالين ، ص ٤٣ .
[5] فخر الدين الرازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر ، التفسير الكبير ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٠هـ ، ج ٥ ، ص ٣٤٤ .

نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً) فإن قيل : القول بأن إبراهيم عليه السلام – على نبينا وعليه السلام – على دين الإسلام ، إن أردتم به الموافقة في الأصول ، فليس هذا مختصاً بدين الإسلام ، وإن أردتم به الموافقة في الفروع ، لزم أن لا يكون محمد صلى الله عليه وسلم صاحب شريعة ، بل مقرراً لشرع من قبله ، قلنا : نختار الثاني ، ولا يلزم ما ذكر ؛ لجواز أنه تعالى نسخ تلك الفروع بشرع موسى عليه السلام ، ثم في زمان محمد صلى الله عليه وسلم نسخ شرع من قبله بتلك الشريعة التي كانت ثابتةً في زمن إبراهيم – على نبينا وعليه السلام – فيكون محمد صلى الله عليه وسلم صاحب الشريعة مع موافقة شرعه شرع إبراهيم في معظم الفروع ، وقال النيسابوري في تفسير الآية : فإن قيل : قولكم : إبراهيم على دين الإسلام . إن أردتم به الموافقة في الأصول ، فليس هذا مختصاً بدين الإسلام ، وإن أردتم به الموافقة في الفروع ، لزم أن لا يكون محمد صاحب شريعة ، بل كان مقرراً لشرع من قبله . قلنا : نختار الأول ، والاختصاص ثابت ، فإن اليهود والنصارى مخالفون للأصول في زماننا لقولهم بالتثليث وإشراك عزير والمسيح بالله إلى غير ذلك من قبائح أفعالهم ، أو الثاني ولا يلزم ما ذكرتم ؛ لجواز أنه تعالى نسخ تلك الفروع بشرع موسى ، ثم في زمان محمد نسخ شرع موسى عليه السلام بتلك الشريعة التي كانت ثابتةً في زمان إبراهيم عليه السلام ، فيكون محمد صاحب الشريعة مع موافقة شرعه شرع إبراهيم في معظم الفروع [1] .

وعلى ما سبق وجدت هامشاً منخرماً على صفحة المقدمة في نسخة (غ) ، وفيه : وقد أخذت وانتخبت في هذا التفسير من أهم التفاسير ، منها : البيضاوي للقاضي ، والمدارك ، والكشاف ، والتفسير الكبير ، ومعالم التنزيل ، وتفسير الحدادي ، وتفسير النيسابوري ، وتفسير حسيني غفر لهم . (للحديث صلة)

---

[1] النيسابوري ، نظام الدين الحسن بن محمد .غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ ، ج ٢ ، ص ١٨١ .

الشيخ عبد الرشيد إبراهيم

(آية من آيات الله وحجة الله على الدعاة)

(الحلقة الثانية الأخيرة)

بقلم : الدكتور غريب جمعة *

فزع إرساليات التنصير من نشاط الشيخ عبد الرشيد :

أصيبت إرساليات التنصير بالفزع الناصب والهمِّ الواصب حيث تجاوزها الشيخ بكثير وخلفها وراءه تعض عليه الأنامل من الغيظ ، وهي التي سبقته إلى آسيا بسنواتٍ عديدةٍ .

فقد رأت فيه خطراً ماحقاً على جمعياتها التنصيرية ومؤسساتها المالية ذات الموارد الضخمة والدعم السخي من حكوماتها ، ومن المضحك أن يرسل أحد القسوس في الصين إلى وزارة الخارجية في بلده بأن المسيحية تواجه عدواً شرساً يعجزها تماماً عن التقدم للأمام .

وردت وزارة الخارجية : كم يبلغ تعداد جنود هذا العدو ، وما مدى قوته العسكرية والمادية وكانت الإجابة المخزية :

إنه شخص واحد اسمه عبد الرشيد ذو إيمان قوي ومنطق سليم وأسلوب جذاب ، وفوق ذلك عزيمة لا تلين أبداً فنحن نجد أثره في كل مكان نذهب إليه .

ويستمر عبد الرشيد في رحلاته وتسجيل مشاهداته خلال تلك الرحلات التي ضمنها مجلدين كبيرين ، واختار لها عنوان : " عالم الإسلام " ولكن أين هذا الكنز الثمين .

الجهاد بالنفس والمال :

عندما قامت البربرية الإيطالية ممثلة في جيوشها الجرارة بالعدوان على ليبيا واحتلالها عام ١٩١٢م سارع الشيخ عبد الرشيد إلى مشاركة إخوته الليبيين في دفاعهم عن وطنهم وقد بلغ الستين من العمر ، ثم أخذ يتجول في العالم الإسلامي هنا وهناك ليجمع لهم التبرعات وكل ما يعين على مواجهة هذه البربرية الطاغية .

ثم كانت النهاية المشرفة لشيخ المجاهدين عمر المختار الذي لقى

* جمهورية مصر العربية .

ربه شهيداً – إن شاء الله – .

ولما اشتعلت نيران الحرب العالمية الأولى هبَّ مسرعاً ليشارك الجيش العثماني في تلك الحرب عندما ذهب إلى القوقاز .

ثم سافر ألمانيا ليتصل بالأسرى المسلمين . وهكذا كان الرجل أشبه بمركز جهادي متنقل حتى وضعت الحرب أوزارها .

العودة إلى اليابان :

عاد الرجل إلى اليابان بعد أن وضعت الحرب أوزارها ليواصل جهاده الموصول بتبليغ رسالة الإسلام ونشر دعوته على أوسع مدى من خلال مسجد طوكيو .

وكان الزائر لهذا المسجد يعجب من أمر هذا الرجل فعلى الرغم من علو سنه حيث بلغ الخامسة والتسعين !!

إلا أنه يستيقظ ليتهجد ما شاء الله له قبل الفجر ثم يؤم المصلين في صلاة الفجر حتى إذا ما فرغ من أذكاره وأوراده إدبار الصلاة التفت حوله مجموعة من تلاميذه ومحبيه ليفسر لهم كتاب الله تعالى ويشرح لهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا ما أشرقت الشمس انتقل إلى غرفة الدراسة الملحقة بالمسجد ليجد مجموعة من أطفال المسلمين في انتظاره ليعلمهم حفظ القرآن ، ولم يستنكف الشيخ وهو في تلك السن ومن كبار زعماء العالم الإسلامي أن يكون معلم صبيان حفظ القرآن الكريم وشيئاً من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عبد الرشيد في أعين معاصريه :

(١) واصل الرجل جهاده ومساعيه حتى اعترف البرلمان الياباني بالإسلام كواحد من أديان الدولة الرسمية ، وهذا الاعتراف حقق له أكثر مما يأمله فبنى مسجدين في طوكيو وكانت أمنيته أن يبني ولو مسجداً واحداً ولكن اعتراف البرلمان الياباني بالإسلام فتح الطريق أمامه ليحقق أكثر مما كان يحلم به . . وهكذا يصنع الإخلاص والصدق مع الله تعالى .

ولنقرأ ما كتبته جريدة البلاغ المصرية بخصوص هذا الموضوع في أحد أعداد شهر مارس عام ١٩٣٩م تقول الجريدة (بتصرف) : أرسل الأستاذ عبد الرشيد إبراهيم رئيس الجمعية الإسلامية بطوكيو رسالة يقول فيها : " إن وزير المعارف الياباني عرض في أول يوم من مارس عام ١٩٣٩م على البرلمان مشروع قانون يسمى : زيزال أزاكى – يقضي باعتبار الدينين البوذي والمسيحي دينين رسميين في اليابان فاعترض بعض الأعضاء قائلين : وأين الإسلام ؟

وطالت المباحثات في ذلك لمدة ثلاثة أيام انتهت برد المشروع إلى وزارة المعارف حتى تضمنه الاعتراف بالدين الإسلامي مع الدين المسيحي والبوذي ، وقد تم ذلك وصادق عليه البرلمان .

ونشرت الجرائد اليابانية هذا الخبر فأخذ الناس يتوافدون عليه ويطلبون من الجمعية الإسلامية كتباً عن الإسلام باللغة اليابانية .

(٢) رحلات ابن بطوطة دون رحلات عبد الرشيد إبراهيم : يقول الدكتور محمد رجب البيومي – رحمه الله في مؤلفه " النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين " : (بتصرف)

كنا نصلي الجمعة في مسجد الأديب المجاهد الغيور عبد الوهاب عزام ، وبعد أن انتهينا من الصلاة أخذ يحدثنا عن دعاة الإسلام في العصر الحديث ثم تطرق إلى الشيخ عبد الرشيد فكان مما قاله آنذاك : " إن من العجب العجاب أن يصدر الشيخ عبد الرشيد مؤلفه " عالم إسلام " ولا ينتشر ولا يذيع صيته ولا يترجم ولا نجده في كل مكتبة إسلامية في أنحاء العالم الإسلامي مع أنه مجمع مشاهداته الشخصية البصيرة في شتى ربوع الإسلام في آسيا وأفريقيا وأوروبا ويصف أدواء المسلمين وعللهم مما لم يتيسر الإلمام به لأحد إلا أن يكون الأمير شكيب أرسلان ! " .

ونحن نرى طبعات متكررة لرحلة ابن بطوطة وأمثاله فأي شيئ تكون هذه الرحلة إذا قيست برحلة أكبر داعية في العصر الحديث ؟

إن ابن بطوطة كان يرحل ليتزوج ويرى ويتمتع دون أن يكون له هدف غير تسطير الخرافات والكرامات وتدوين ما يسمع من الأعاجيب .

أما عبد الرشيد فقد ركب البر والبحر والجو ليدعو إلى الله وكم احتمل من عنت ذوي الجهالة وسفاهة أولي الضلالة .

لقد أصدر الرجل كتبه النافعة ودون رحلاته الممتعة فلم تجد من الذيوع والانتشار ما وجدت رحلات الغرائب والخرافات .

(٣) رثاء الدكتور عبد الوهاب عزام كلمة رثاء لهذا الشيخ الجليل عند وفاته نشرها بإمضاء مستعار مجلة الثقافة العدد ٣١٢ جاء فيها :

وكان مجلس عبد الرشيد يجمع المختلفين في المآرب والمذاهب على الإعجاب به والعجب منه من مصغ إلى شيخ رحالة مسلم يتحدث عن جماعات المسلمين ويصف أدواءهم وأدويتهم ومن منصت إلى عجائب الأسفار وغرائب الأوطان ومن مكبر لهذا الشيخ الوقور الذي لم تقعد به السن عن الأسفار البعيدة ، بل رأيت الصبيان يتطلعون إلى مجلسه ليروا الرحالة التركي الهرم الذي جاب مشارق الأرض ومغاربها .

وكانت إحدى أمانيه أن يرى مسجداً في طوكيو فاستجاب الله له وحقق أمنيته فأراه في اليابان مسجدين " .

(٤) لم يكن عبد الوهاب عزام هو وحده المعجب بالشيخ عبد الرشيد بل شاركه ذلك الإعجاب شاعر الإسلام في تركيا محمد عاكف صديق الدكتور عزام ومن شدة إعجابه بالشيخ جعله بطلاً لإحدى قصصه الأدبية الهادفة إذ تخيله واعظاً وقوراً يقوم بين المسلمين في مسجد الخليفة العثماني (سليمان القانوني) فيشرح للناس بالمسجد الجامع أدواء المسلمين وعللهم وكيف يعالجونها ويدعوهم إلى الرشاد بعد الغي ، والهدى بعد الضلال واليقظة بعد النوم .

(٥) كان بين أستاذي السيد المهندس محمد توفيق بن أحمد سعد وبين الشيخ عبد الرشيد علاقة وصداقة من أخلص الصداقات حيث جمعت بين الرجلين أخوة الإيمان ووحدة الغاية النبيلة والهدف السامي حتى أن الشيخ عبد الرشيد حينما سافر إلى اليابان داعياً إلى الإسلام لم يجد أمامه ما يقدمه للتعريف بالإسلام إلا الرسالة التي أصدرها المهندس محمد توفيق باللغة اليابانية وعنوانها : " الإسلام دين الجميع " ، واعترافاً بفضل الشيخ عبد الرشيد في خدمة الإسلام ووفاء بشيئ من حقه وضع المهندس محمد توفيق صورة مسجد طوكيو وبجوارها صورة الشيخ عبد الرشيد أول إمام لمسجد طوكيو .

وقد كتب أسفل هذه البطاقة : تذكار نشاط دار تبليغ الإسلام في بلاد اليابان .

وقد سمعت من السيد المهندس محمد توفيق وصفه للشيخ عبد الرشيد – رحمهما الله – حيث قال : " هذا الرجل كان عالماً وداعية ورحالة ومؤلفاً وخطيباً وعابداً مخبتاً ومعلماً لأطفال المسلمين ، كل ذلك في تناسق عجيب وعزيمة لا تعرف الكلل ودأب لا يعرف الملل ، وكفاح صبور وهو في الخامسة والتسعين من العمر !! " .

فهذا غيض من فيض عن أكبر داعية في العصر الحديث فليتأمل الدعاة ماذا يصنع الإخلاص والصدق مع الله جل جلاله .

إن هذا الداعية العظيم قد جعله الله حجة على الدعاة حتى لا يزكى أحد نفسه بأنه قدم للإسلام كذا وكذا وهو لا يدري .

إن كان كل ما قام به من أجل دينه مقبولاً عند ربه أم مردود عليه ؟

وكأن لسان حال الدعوة يقول :

هؤلاء هم الدعاة فسيروا على دربهم إن كنتم صادقين .

المحدث محمد مشاهد السلهتي وعلم الحديث

بقلم : الأستاذ هارون الرشيد الشيريفوري *

هو العالم النابغة الزاهد محمد مشاهد بن العليم بن دانش ميان البايمفوري السلهتي البنغلاديشي الملقب في ديارنا بشيخ الإسلام . وكانت أمه صفية من النساء الفضليات المحجبات اللاتي وصلن إلى أرقى مراتب التعليم والتربية ، وكنَّ مضرب الأمثال في الأخلاق الحميدة في أزمنتهن . ولد يوم الجمعة من أوائل المحرم سنة ١٣٢٨ للهجرة ببايمفور من كنائيغهات في سلهت ببنغلاديش .

تلقى مبادئ القراءة من أمه ومن مقرئ المسجد ، ثم انتقل إلى مدرسة ابتدائية إنجليزية ، فانضم إليها وقرأ ثم انضوى تحت لواء المدرسة الإسلامية المعروفة (حالياً) بالجامعة الإسلامية دار العلوم دار الحديث كنائيغهات ، ولواء المدرسة الرحمانية في لالارصك ، وتعلم فيهما ، ثم ارتحل إلى المدرسة العالية في رامبور ، فدخلها ودرس فيها .

وجرياً على عادة المحدثين في طلب الحديث كان لا بد لطالبه أن يرتحل في طلبه ويتجول في الآفاق للاستماع إلى الشيوخ والعلماء والمحدثين المنتشرين في مدن شتى ، فسمع البايمفوري في ديوبند من كبار الشيوخ ، وتخرج في دار العلوم سنة ١٣٥٧هـ ، وباشر التدريس في كثير من مدارس الهند وبنغلاديش ، وأخذ البيعة في السلوك والتزكية من الشيخ أبي يوسف محمد يعقوب المعروف بالشيخ حاتم علي البدرفوري – رحمه الله تعالى – ونال منه الإجازة والخلافة ، وحج ، ونصح ، وألف ما بين صغير وكبير حتى قام بكتابة بعض الحواشي النفيسة على تفسير المنار ، ونصب الراية ، وفتح القدير لابن الهمام ، وغيرها ، ولكن كان له مع غزارة علمه وتبحره في مختلف الفنون تفردات ومخالفات في مسائل التهجد بالجماعة ورؤية الهلال والجماعة الثانية في المسجد – ومسودة هذه الفتوى وغيرها من المخطوطات والمسودات الغير المطبوعة موجودة عندنا – وما إلى ذلك .

* أستاذ الحديث والأدب العربي بالجامعة الأهلية المحسنية دار الحديث شورئيغهات ، كنائيغهات ، سلهت – بنغلاديش .

وكان يأمر ، وينهى حتى أتاه اليقين ليلة عيد الأضحى عاشر ذي الحجة لعام ١٣٩٠ من الهجرة . فإنا لله وإنا إليه راجعون .

إسهاماته في علوم الحديث :

لقد قيض الله – تبارك وتعالى – لخدمة السنة وعلومها من أول يوم رجالاً أفذاذاً معتنين بحفظها وحملها وشرحها ودرايتها وروايتها ونقلها بأقصى الضبط والدقة من سيد الأنبياء – عليهم من الله أفضل الصلاة وأتم التحية – إلى المؤمنين الأصفياء حتى كانت ميسرة محفوظة ومفسرة لم يعهد العلماء عناية بعلم كعنايتهم بها .

فلا يخفى على من له أدنى إلمام بالشيخ محمد مشاهد السلهتي – رحمه الله تعالى – أنه كان شهيراً في دولة بنغلاديش وولاية آسام بـ " البايمفوري " ، وكان من أبرز علماء الحديث النبوي الشريف وفن أسماء الرجال في بنغلاديش ، وإضافة إلى ذلك كان لا نظير له بين رجالات ديارنا في سعة الاطلاع على كتب المتقدمين والمتأخرين والتضلع في الفقه والأصول والرسوخ في العلوم الدينية ، وكان دقيق النظر في طبقات الفقهاء والمحدثين ومراتب كتبهم ، وظل مشتغلاً بالتحديث والتدريس والتحقيق عكوفاً على الأعمال العلمية .

(مثال ذلك) : إنه قال في مسألة مقدار العمامة : " ينبغي أن يعلم أن العمامة من سنن الزوائد كشعر الرأس وليست هي من سنن الهدى ، فأي ثوب ليث على الرأس ، وأياً كان لونه ، وطوله فهو سنة بشرط أن تحنك العمامة وأن يرسل طرفها بين الكتفين . روى مسلم في " صحيحه " عن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة (عام الفتح) وعليه عمامة سوداء .

فقال شراح الحديث : " إنه ليس من خصوصيات العمامة لكونها سنة الطول ، واللون " . ومن لم يكتف بذلك وأراد التفصيل فعليه بمطالعة كتاب " نيل الأوطار ، كتاب اللباس ، باب ما جاء في لبس القميص والعمامة والسراويل " .

واشتهر البايمفوري بالفضل والصلاح . فنفع الله تعالى بتدريسه خلقاً كثيراً ، وتخرج على يده آلاف ممن له حظ وافر .

ومن منن الله تعالى على الشيخ البايمفوري انهماكه في خدمة

الحديث الشريف والمداومة عليه دراسةً وتدريساً واختلط حبه والاشتغال به بلحمه ودمه ، فمن طول ممارسته الحديث الشريف كأن الأخلاق النبوية صلى الله عليه وسلم تجسدت في صورته .

كان الشيخ البايمفوري يدرس صحيح البخاري ، وجامع الترمذي على وتيرة التخصص في علوم الحديث قبل تأسيس هذا القسم في شبه القارة (كما يتجلى ذلك من الفصل الرابع عشر في الجزء الأول من كتابه " أضواء الحق ") .

وكانت لمسات من سيرة الشيخ العلامة محمد أنور شاه الكشميري تلمع في الفاضل السلهتي – رحمهما الله – ؛ مثل ما قيل في ثناء الكشميري : كان الشيخ رحمه الله إماماً في علوم القرآن والحديث ، وحافظاً واعياً لمذاهب الأئمة مع إدراك الاختلاف بينهم ، وقادراً على اختيار ما يراه صواباً ، ولم يقتصر في مطالعته على كتب علماء مدرسة بعينها – مع أنه كان حنفياً – وإنما قرأ لعلماء مدارس مختلفة لهم انتقادات شديدة فيما بينهم ، مثل الإمام ابن تيمية والإمام ابن القيم وابن دقيق العيد والحافظ ابن حجر رحمهم الله ، وقد أحاط بكتب أهل الكتاب من أسفار العهد الجديد والقديم . . . وقال المحدث علي الحنبلي المصري رحمه الله : ما رأيت عالماً مثل الشيخ أنور الذي يستطيع أن يجمع نظريات الإمام ابن تيمية والحافظ ابن حجر وابن حزم والشوكاني رحمهم الله ، ويحاكم بينهم ويؤدي حق البحث والتحقيق مع رعاية جلالة قدرهم .

(مثال ذلك) : أنه روى في الدلائل المنثورة من كتابه " البرهان على استحباب سماع القرآن " عن فضالة بن عبيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الله أشد أذناً إلى قارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته " .

قال الحافظ ابن حجر والعراقي : أخرجه ابن ماجه والحاكم وابن حبان وصححاه .

قال الزبيدي في " في فضل القرآن وأهله وذم المقصرين في تلاوته من إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الإمام الغزالي " : أذناً أي استماعاً وإصغاءً . وذلك عبارة عن الإكرام والإنعام .

قال ابن العليم : " هذا على قول المتأخرين من أصحاب التأويل ،

وأما على قول المتقدمين من أصحاب التفويض فمعناه : استماعاً يليق بجنابه تعالى وهو السميع البصير تعالى شأنه " .

ويذكر – رحمه الله – دلائل كل فقيه من الكتاب والسنة ويتكلم عليها متناً وإسناداً بضبط يسهل تناوله للطالبين ثم يأتي بالدلائل للمذهب الراجح سالكاً مسلك الإنصاف مجتنباً التكلف والتعسف في الانتصار لمذهب مخصوص ، ولا شك أنه حنفي في المذهب الفقهي فيأتي بدلائل هذا المذهب بكل بصيرة ، وكان منهجه في شرح الحديث منهج العالم الفقيه والمحدث الحافظ والبصير الناقد والواسع الاطلاع إلى غير ذلك .

(أمثلة بعض ما مر) : أنه يقول في مبحث علاج الغضب المذموم في كتابه الفرقان : " قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله يحب الرفق في الأمر كله – أخرجه البخاري ومسلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق – أخرجه أحمد بسند جيد . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله رفيق يحب الرفق الحديث – أخرجه مسلم ، والمراد به وطأة الأخلاق وحسن المعاملة وكمال المجاملة ، لأن معنى الرفق هو اللطف ولين الجانب بالقول والفعل وأخذ الأمر بأحسن الوجوه وأيسرها . . وأنه يقول في مواطن جمة من مؤلفاته بعد ما يخرج الأحاديث : وفي الباب أحاديث عن الصحابة – رضي الله عنهم – والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، والأحاديث في الباب كثيرة جداً ، وله شواهد . لا سيما قال في الجزء الأول من كتابه " إظهار الحق (ص : ٢٢) " : قلت : والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً فيما بين صحيح وحسن كما هو الظاهر على من بيديه دواوين العلوم النبوية ، وأنه عرف كتاب " الأحاديث المختارة " للإمام ضياء الدين أبي عبد الله محمد الحنبلي المقدسي في الفصل الثاني من كتابه " الفرقان " بأنه " من أحسن الكتب عند المحدثين حتى عدَّه بعضهم بعد الصحيحين " ، وقال في نفس الكتاب في فصل في آفات اللسان في الحكم على الإسناد : " وإسناد أحمد حسن " . وإن مخطوطته الغير المطبوعة المسماة بـ " جزء القراءة خلف الإمام " لخير شاهد على ذلك كله .

ومن الجدير بالذكر ههنا بصفة خاصة أن صحيح البخاري قد حظي من عناية الشيخ بالشرح والتحليل والاستنباط ، ولا ريب أن لكل شيخ

طريقته وأسلوبه الخاص ، فكان البايمفوري يحرص على نقل المذاهب والأقوال بأمانة وعرضها بأدلتها بإنصاف وترجيحه ما يوجبه الدليل منها وإن كان غير المذهب الحنفي ويشرح الكلمات العربية في متن الحديث ويوضح الجمل المشكلة والعبارات المستصعبة والتراكيب العويصة كما يتعرض فيه لحل مظان الإشكالات في الأسانيد من حيث الصناعة الحديثية مع ضبط الأسماء والأنساب المعضلة والتعريف بالرواة النقلة إذا اقتضى المقام ذلك ، وينبه في بعض الأحيان على لطائف الإسناد بطريقة المحدثين .

فكانت محاضراته وشروحه لدروس الجامع الصحيح للإمام البخاري مرتبةً منسقةً بحيث يسهل على الطلاب التقاطها وحفظها دونما صعوبة ، وهذا إن دل على إتقانه للمواد الشرعية الحديثية التي كان يحاضر فيها فإنه يدل في الوقت نفسه على نبوغه في فن التدريس وعرض المواد على المتلقين وتبسيطها لهم فكان – رحمه الله تعالى – يمتاز بأنه مدرس لبق ناجح يقرب ما في ذهنه إلى أذهان تلاميذه في سهولة أي سهولة ، فكان محبوباً جداً إليهم لهذا السبب ، وكانت دروسه الحديثية دروساً بليغةً تذرف منها العيون وتخشى منها القلوب وكان الطلاب يتهافتون عليه تهافت الفراش على النور لأجل رزانته ووقاره وإتقانه لمواد الحديث وورعه وتقواه وأمانته وإخلاصه حتى شد طلبة العلم الرحال إليه ، وكان محترزاً كل الاحتراز عن التأويلات الباردة الزائفة ، ويسرد الكلام في الأبواب والتراجم وفيما قال البخاري : قال بعض الناس كما يسرد العسقلاني والعيني والجنجوهي وشيخ الهند والكشميري وشيخ الإسلام المدني وغيرهم فيرجح أحد الأقوال ويكرر أثناء الدرس ما اشتهر بين الناس أن فقه البخاري في تراجمه ، وكان سريع القراءة لمتون الحديث من غير خطأ . وكان في شرحه – قدس الله سره العزيز – للأحاديث ردود قوية على طوائف أهل الزيغ مع دفع شكوك أهل البدع والأهواء ودحض شبهات المستشرقين والمستغربين ببيانٍ واضح متين ، وأسلوب مقنع رصين .

وإن لتحقيقاته وبحوثه لقيمةً كبيرةً لدى أهل العلم والدين ، فكان يعتبر من كبار المحدثين في شبه القارة ، كان الشيخ رحمه الله شديد الاستحضار ، قوي الحافظة ، شغوفاً بالمطالعة . فكان إذا طالع كتاباً بقي في ذاكرته ، وسمع ذلك ونقله غير واحد من أقرانه وتلامذته

الأعلام . وهو إلى جانب قوة الحفظ ونادرتها قد وفق لسرعة المطالعة . فقد كان وجود هذا العصامي في القرن العشرين برهاناً ساطعاً على صلاحية الملة . ويشهد بذلك معاصروه وكتبه ومؤلفاته ، واعترافاً بعظيم مكانته العلمية أثنى عليه العديد من جهابذة العلماء :

(١) قال شيخ الإسلام السيد حسين أحمد المدني – رحمه الله تعالى – فيما منحه من الشهادة الخاصة : . . . لقد رزقه الله تعالى طبيعة مناسبة وهادئة . فهو يتمتع بعقل حاد وثاقب وخلق كامل . وأنا متأكد من أنه إذا تم تعيينه في مهنة التعليم في مجال ما ، فسوف يقوم بتدريس الفنون والعلوم كلها على أحسن الوجوه – إن شاء الله – (تصدير كتاب المترجم له فتح الكريم) .

(٢) وقال في كتاب البدور المضيئة (ج/١٨ ، ص : ٧٢) – وهو من منشورات دار الصالح خلف الجامع الأزهر الشريف بالقاهرة عاصمة جمهورية مصر العربية – : كان الشيخ الفاضل مولانا محمد مشاهد السلهتي عالماً نحريراً ، فاضلاً جيداً ، محدثاً كبيراً ، أديباً لبيباً ، فقيهاً بارعاً . من مصنّفاته : فتح الكريم في سياسة النبي الأمين . . .

رحم الله البايمفوري بما قدم للأمة الإسلامية وأفادها من منبع علمه وفيض معرفته ، وأسكنه فسيح جناته مع الخالدين – آمين ثم آمين يا رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا وحبيبنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

مراجع المقال :

الدرس المدني لإفهام جامع الترمذي ص : ١٦١ ، وترجمة حياته في أول كتابه " فتح الكريم " (الذي طبع تحت إشراف أمير الهند العلامة السيد محمد أرشد المدني – حفظه الله تعالى ورعاه –) ، ومجلة " المشاهد " التذكارية الصادرة في شهر فبراير سنة ٢٠١٤م عن الجامعة الإسلامية دار العلوم دار الحديث كنائيغهات ، ص : ٣٣ – ٤٤ ، والمجلة التذكارية (ديسمبر ٢٠٢٣م ، ص : ٢١٩ – ٢٢٤) الصادرة عن الجامعة المدنية قاسم العلوم شاهباغ ، ومجلة الصبح (ص : ٢ و ٥ – ٦ ، العدد : ٥ ، السنة الثانية ١٤٣٣هـ) ، ومجلة المدينة (أغسطس ٢٠١٤م ، ص : ١٩ – ٢٤) ، وبخاري بنغال العلامة محمد مشاهد البايمفوري – رحمه الله تعالى – للأديب القدير نسيم عرفات ، ونحو ذلك .

دور العمل الإيجابي في تنحية الشباب عن المفاهيم الخاطئة

محمد فرمان الندوي

الإمام الداعية الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي (١٨٧٧ – ١٩٦٠م) كان معجزة الزمان ، وآية من آيات الله تعالى في هذا الكون ، اصطفاه الله تعالى للعمل في القرن العشرين المسيحي ، فكان مجدداً إسلامياً ، أحيا في قلوب الناس ولاسيما في الأجيال الناشئة عواطف الإيمان ، ووجههم إلى الطريق القويم ، فكان يعتقد أن الشباب هم العمود الفقري في بناء العالم من جديد ، وإذا أهمل هذا العنصر ، ولم يعتن واحد بتربيته ضاعت مواهبه المكنونة ، ومقدراته الخامدة ، فبالرغم من أن النورسي أحدث الانقلاب الإسلامي ، وقضى على الأمية والجهالة ، ونفخ في المجتمعات الإنسانية روح العمل ، وهيأها لنشر الخير والصلاح في أرجاء المعمورة ، أعدَّ جيلاً جديداً ، حمل لواء الدعوة والإصلاح والتوجيه والإرشاد لا في تركيا فحسب ، بل في العالم الإسلامي ، ولاشك أنه كان أبا الجلال ومربي الأجيال .

كان سعيد النورسي قائداً ومفتياً ، يتخذ العمل الإيجابي رمزاً للدعوة الإسلامية ، وكان معارضاً للحرب ، لكن الحرب العالمية الأولى حينما اندلعت أصدر النورسي الفتوى للمساهمة فيها ، وأعد جيلاً من طلابه للخوض في هذه الحرب ، فخاض فيها النورسي مع طلابه ، وقد أسر فيها ومكث تحت الاحتلال الروسي سنتين وأربعة أشهر وأربعة أيام ، وبعد الخلاص من الأسر توظف في دار الحكمة الإسلامية عام ١٩١٨م ، لكنه لانهيار صحته لم يشغل الوظيفة فيها .

ثلاث مدارس يوسفية للشباب :

ما زال الإمام الداعية سعيد النورسي يدعو الناس إلى الله تعالى ، فحينما كان في السجن فينتهز الفرصة للدعوة الإسلامية ، ويجدِّد أسوة سيدنا يوسف عليه السلام عليه ، فكانت له المدرسة الأولى اليوسفية

حينما كان مسجوناً في أسبارطة عام ١٩٣٤م ، والمدرسة اليوسفية الثانية حينما كان مسجوناً في مدينة دينزلي عام ١٩٤٣م ، قضى بديع الزمان مدة تسعة أشهر موقوفاً في سجن دينزلي في زنزانة انفرادية ، وكان طلابه معه ، حتى توفي اثنان منهم ، ولم يترك تأليف رسائل النور أيضاً في السجن ، وأقام النورسي في المدرسة الثالثة اليوسفية عام ١٩٤٨م ، حينما كان مسجوناً في مدينة آفيون ، حيث اعتقل فيها أربع وخمسون شخصاً من طلبة النور ، وقضى النورسي عشرين شهراً في هذا السجن ، وخلال هذه المدة اهتدى على يده كثير من الناس في السجن ، وبعد خروجه من السجن بقي شهرين ينشر رسائل النور ، ينفخ بالعمل الإيجابي روح النشاط والعمل في القلوب ، ثم توجه إلى أمير داغ حيث قضى سنتين ، ثم زار مدينة أسكي شهر سنة ١٩٥١م ، وبقي هنا شهراً ونصف شهر . بلغ النورسي من عمره أكثر من ثمانين عاماً ، وكانت صحته في آخر حياته منهارة ، فكان يقول : إن قراءة رسائل النور أفضل مائة مرة من الحديث معي . وقد حانت له عدة سفرات إلى بعض مناطق تركيا ، ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى ٢٣/ مارس ١٩٦٠م ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

جهات شتى لتربية الشباب :

درس الإمام النورسي القرآن دراسةً عميقةً فعرف أن الشباب لعبوا دوراً مهماً في إنقاذ الإنسانية من الدمار والهلاك ، وأعطوها من النشاط ، وهذا لا يمكن إلا بالعمل بالفرائض ، والقيام بالنوافل ، ولا يغفل عن أعينهم حقوق الله وحقوق العباد ، وقد جرت محاولات لصرف الشباب عن الله تعالى وعن الرسول صلى الله عليه وسلم فحذفت دروس الدين عن المدارس ، كما حذفت كلمات الرب والله جل جلاله من الكتب المنهجية ، ووضعت مكانها : الطبيعة ، التطور ، الوطنية ، القومية ، يكتب الأستاذ إحسان قاسم الصالحي :

" لقد أحس بديع الزمان بضرورة كتابة الرسائل لكي يكون وسيلة لآلاف ومئات الآلاف من الجيل الحائر ، الذي يبحث عن نور لقلبه ، وهداية لروحه ، يقول بديع الزمان : جاءني فريق من طلاب الثانوية قائلين : عرِّفنا بخالقنا ، فإن مدرسينا لا يذكرون الله لنا ، فقلت لهم : إن كل علم من العلوم التي تقرؤونها يبحث عن الله دوماً ، ويعرف بالخالق بلغته

الخاصة ، فأصغوا إلى تلك العلوم دون المدرسين " (نظرة عامة عن حياة بديع الزمان : ٦٠) .

كما سبق ذكره أن الإمام النورسي لم يكن غافلاً عن هذه المهمة ، حتى في السجون ، فقد أقام هنا مدارس يوسفية لتربية الأجيال ، كما كان دأب يوسف عليه السلام ، وكان مركزاً كل وقت على تمثيل القدوة ، فكان الحرَّاس والضباط كلهم ، متأثرين بخلقه ودماثة نفسه ، وطيب سريرته ، ذكر الكتاب النبغاء عن سيرته ثلاث مدارس يوسفية ، ولاشك أنها للتربية والتعليم وتنحية الشباب عن المفاهيم الخاطئة ، وقد سلك النورسي مسلك العمل الإيجابي ، والعمل الإيجابي لديه هو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب ، من دون أن يرد إلى تفكيره ، أو يتدخل في علمه عداء الآخرين ، أو التهوين من شأنه (نظرة عامة : ١٠٥ – ١٠٧) .

عناصر العمل الإيجابي :

(١) يعتقد النورسي أن الإيمان بالله تعالى هو العمدة في نجاة الإنسان ، ويبعد الإنسان عن المفاهيم الخاطئة من الزيغ والضلال والانحراف والغواية ، فيقول : " إن الإنسان يسمو بنور الإيمان إلى أعلى عليين ، فيكتسب بذلك قيمة تجعله لائقاً بالجنة ، بينما يتردى بظلمة الكفر إلى أسفل سافلين ، فيكون في وضع يؤهله لنار جهنم " (الكلمة الثالثة والعشرون : ٣٤٨) .

(٢) سأل عدد من الطلاب : كيف يمكن أن ينقذوا آخرتهم من فتنة الإغراء ، وجاذبية الهوى وخداع اللهو ؟ أجاب الشيخ النورسي : القبر ماثل أمام الجميع ، لا يمكن أن ينكره أحد ، كلنا سندخله لا مناص ، والدخول فيه بثلاثة طرق :

الطريق الأول : يؤدي إلى أن القبر باب ينفتح للمؤمنين إلى رياض جميلة وعالم رحب فسيح أفضل وأجمل من هذه الدنيا .

الطريق الثاني : يوصل إلى أن القبر باب لسجن دائم للمتمادين في الضلالة والغي مع إيمانهم بالآخرة ، فهم يعاملون بجنس ما كانوا يعتقدونه .

الطريق الثالث : ينساق إليه من لا يؤمن بالآخرة من أرباب الضلال (اللمعة العشرون : ٢٠٩) .

(٣) إن الأمراض الروحية مثل الحسد والغل والتنافر سم فاتك للمجتمع الإنساني ، وكلما يحمل الشباب هذه الأمراض فقدوا مكانتهم المرجوة ، يقول النورسي : " إن ما يسببه التحيز والعناد من نفاق وشقاق في أوساط المسلمين ما يوغر في صدورهم من حقد وغل وعداء مرفوض أصلاً ، ترفضه الحقيقة والحكمة ويرفضه الإسلام ، الذي يمثل روح الإنسانية الكبرى ، فضلاً عن أن العداء ظلم شنيع يفسد حياة البشر : الشخصية والاجتماعية والمعنوية ، بل هو سم زعاف لحياة البشرية قاطبة " ، وقد شرحه ذلك من ستة وجوه (الكلمات ، المقام الثاني : ١٥٤) .

(٤) يعتقد النورسي أن القوة لا تكمن في كثرة العدة والعتاد ، فيقول : " واعلموا أن قوتكم جميعاً في الإخلاص والحق ، نعم ، أن القوة في الحق والإخلاص ، حتى إن أهل الباطل يحرزون القوة لما يبدون من ثبات وإخلاص في باطلهم ، إن خدمتنا هذه في سبيل الإيمان والقرآن هي دليل بذاتها على أن القوة في الحق والإخلاص ، فشيئ يسير من الإخلاص في سبيل هذه الخدمة يثبت دعوانا هذه ، ويكون دليلاً عليه ، لأن ما قمنا به في أزيد من عشرين سنة في مدينتي (وان) ، وفي إستانبول من خدمة في سبيل الدين والعلوم الشرعية ، قد قمنا معكم بأضعافه مائة مرة هنا ، (بارلا) في غضون ثماني سنوات ، إن خدماتنا هنا في ثماني سنوات مع أنني وحيد غريب شبه أمي ، وتحت رقابة موظفين لا إنصاف لهم وتحت مضايقاتهم قد أكسبتنا بفضل الله قوة معنوية أظهرت التوفيق والفلاح بمائة ضعف مما كان عليه سابقاً ، لذا حصلت لدي قناعة تامة من أن هذا التوفيق الإلهي ليس إلا من صميم إخلاصكم ، يقول : ويكسب الإنسان الإخلاص برابطة الموت وبالإيمان التقحيقي (اللمعة الحادية والعشرون : ٢٢٤) .

ولاشك أن الإمام النورسي وضع لتربية الشباب وتنحيتهم عن المفاهيم الخاطئة قواعد وأصولاً يستطيعون أن يستعينوا بها في حياتهم ، ويبنوا عليها صروحاً عالية رفيعة ، فإن حياة النورسي من ولادته إلى وفاته ككتاب مفتوح لكل من يستفيد منها استفادة كاملة ، وإن رسائله تفتح باباً جديداً للتربية والتعليم وإعداد الرجال ، نرى آثار ذلك على مستويات مختلفة لا في تركيا وحدها ، بل في العالم الإسلامي .

إلى نظام عالمي جديد

بقلم : الدكتور ح . محبوب علي خان *

يعتبر هذا الكتاب من أهم ما كتب وألف الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي رئيس تحرير صحيفة " الرائد " ورئيس الشئون التعليمية لندوة العلماء سابقاً ، قد طُبع هذا الكتاب القيم من المجمع الإسلامي العلمي ، لكناؤ ، الهند ، في عام ٢٠٠٧م ، وتحدث المؤلف في هذا الكتاب حول الغزو الفكري الغربي للمجتمعات العربية والإسلامية ، وقد قام المؤلف بدراسة تحليلية موسعة ومقارنة دقيقة بين الحضارتين الغربية والإسلامية ، ويعتبر هذا الكتاب مجموعةً طيّبةً من المقالات التي نشرها المؤلف في صحيفة الرائد ومجلة البعث الإسلامي تعميماً للفائدة .

ينقسم الكتاب إلى بابين : الباب الأول يشتمل على خمسة فصول ، يصوّر واقع الحضارة الغربية ، والاستعمار والتبشير والاستغلال الاقتصادي والتزوير الفكري تصويراً واقعياً كأنك تراه وتشاهده بأم عينك ، فالفصل الأول يبحث حول " تناقضات واقع العالم الغربي " ، والثاني يركز على مبدأ حضارة الغرب للهدم والإرهاب ، وهي بؤرة حرمان وشقاء ، والثالث يحكي انحراف العلم والثقافة ، والرابع يكشف عن نفسية الغرب للتلاعب بالمصطلحات ، وأما الفصل الخامس فهو يتحدث حول أخطر موضوع جاء بمتاعب وويلات للإنسان المعاصر ، وهو " وسائل الغزو الفكري والاقتصادي "

والباب الثاني للكتاب ينقسم إلى فصلين مهمين أحدهما : " إلى نظام عالمي جديد " ، يسلط الأضواء فيه الكاتب على مواقف واستراتيجيات الإنسان الغربي والشرقي ، ويتقدم بالإسلام كبديلٍ ومنقذ وحلّ لتلك الأزمات والمشاكل التي يواجهها العالم المعاصر . وأخيراً يتقدم في الفصل الثاني بسؤال إيجابي إقراري " لماذا لا يجرب العالم الإسلام ؟ " بكل كفاءة ولباقة وارتياح واعتدال ، بعد تبيان من الأدلة والشواهد والتجارب الواقعية التي اختبرها الرجل المثقف العاقل المفكر في كل بلد .

فبعد تحليل علمي وبحث موضوعي مدلل ومستفيض توصل المؤلف

* كلّيّة جمال محمد ، تروجيرابلي – الهند .

إلى نتائج هامة ، وهي أن الخروج من مأزق الغرب لا يمكن إلا بالرجوع إلى رسالة الإسلام وتشكيل مجتمع إسلامي واللجوء إلى نظام عالمي جديد (A New World Order) كبديل أحسن ، وما هو إلا النظام الإسلامي الذي ينبني على أساس : التوحيد الخالص والعدل والمساواة واحترام البشرية جمعاء ، فأصبح الكتاب مرجعاً هاماً ومصدراً أساسياً ومأخذاً مهماً ونبراساً للدارسين والباحثين في هذا الموضوع .

وقد بذل المؤلف جهوداً مضنية لجمع المواد وبصفة خاصة اقتطف مواد إنجليزية من الكتب والصحف الإنجليزية التي كتبتها أقلام المستشرقين ، وطالع تقارير صحفية موثوقاً بها واستفاد منها كاملة واستخرج النتائج التي بنى عليها نتائج هذا الكتاب . ومما يزيد الكتاب أهمية أن المؤلف تأثر بأفكار الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي وعاش مع مؤلفاته العديدة البارزة أثناء إعداد هذا الكتاب .

من أبرز الخصائص والسمات التي لمسناها خلال الدراسة لهذه المقالات هي :

أسلوب العرض والنقد والتحليل علمي وموضوعي ، يتسم بالهدوء والاتزان ، مبني على الدراسة العميقة لتاريخ الحضارة الغربية وثقافتها ، وفلسفتها المادية ، والاطلاع المباشر على التيارات الأدبية والفكرية الحديثة ، والأنشطة السياسية ، والحركات الهدامة ، الموجودة في الغرب ، فوراء كل لفظ وثائق ، ومستندات وشهادات من تاريخ الغرب نفسه .

يتدفق الدافع الإيماني القوي والغيرة الدينية من كل سطر ، بل من كل لفظ ، لا شك أن الخلفية التاريخية لأسرة المؤلف والبيئة التي نشأ فيها ، وترعرع ، والتوجيهات التربوية التي تلقاها ، والظروف القاسية التي شاهدها والحس المرهف الذي يملكه عاملاً قوياً في كتابة هذه المقالات ، هي الاستنارة بنور القرآن وهديه ، وهي التي تمنح الكاتب قوة الاستدلال والميزان الصحيح للنقد والتقويم فيأتي المؤلف في عرض الوقائع والأحداث بأسلوب تحليلي جديد وطريف .

الميزة البارزة لهذا الكتاب بأنه يفضح العالم الغربي من جميع جوانبه ، ويزيح الستار الكثيف الذي أسدلته الدعاية الغربية على وجه الغرب القبيح الكالح والذي يعتبر أكثر خطراً وأشد ظلاماً من القرون الوسطى لدرجة أن الإنسان في هذا العصر المتحضر يكاد يشعر بأنه يعيش في عصر الغابات ويواجه عهد الرق والعبودية ، فيغلب عليه اليأس ويكاد يقطع رجاءه من مستقبل الإنسانية .

(١) الأستاذ أنيس الرحمن خان الندوي إلى رحمة الله تعالى

قلم التحرير

انتقل إلى رحمة الله تعالى الأستاذ أنيس الرحمن خان الندوي نجل الشيخ سلمان خان الندوي البوفالي ، في ١٥/ ذي القعدة ١٤٤٥هـ ، المصادف ٢٣/ مايو ٢٠٢٤م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأستاذ أنيس الرحمن خان الندوي درس في دار العلوم لندوة العلماء ، وتخرج فيها ، ثم واصل دراسته في ليبيا ، وبعد إكمال دراسته هناك عُين أستاذاً في بنغازي ، ثم رجع إلى بوفال ، وعُين أستاذاً في دار العلوم تاج المساجد ، وقام بالتدريس فيها إلى مدة ، ثم سافر إلى اليابان ، وكان إماماً وخطيباً في أحد جوامعها ، وكانت له علاقة بسفير المملكة العربية السعودية في اليابان ، فظل يعمل كسكرتير له في اليابان ، ثم انتقل سعادة السفير إلى روسيا ، فسافر معه إلى روسيا ، ومن هنا سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وكان مقيماً هناك مع أهله وأولاده ، حتى جاء أجله المحتوم .

كان الأستاذ أنيس الرحمن الندوي شقيق الأستاذ الدكتور سليم الرحمن خان الندوي ، والأستاذ كليم الرحمن الندوي ، وهما من أعضاء الهيئة التنفيذية لندوة العلماء ، ولا يزالان يحضران اجتماعاتها السنوية بكل اهتمام ، ويجددان الذكريات الماضية التي كانت بين ندوة العلماء وبين أعلام أسرتهما أمثال الشيخ محمد عمران خان الندوي (مدير دار العلوم لندوة العلماء سابقاً) والشيخ سلمان خان الندوي والأستاذ حبيب ريحان خان الندوي ، وغيرهم من أعضاء الأسرة ، رحمهم الله جميعاً ، وغفر لهم .

فنحن إذ نعزي أسرة الأستاذ أنيس الرحمن خان الندوي على هذا الحادث ندعو الله تعالى أن يغفر للراحل الكريم مغفرة تامة ، ويمطر عليه شآبيب رحمته ، ويسكنه فسيح جناته ، فإنه على كل شيئ قدير ، وبالإجابة جدير .

(٢) الأستاذ محمد نسيم قمر الندوي في ذمة الله تعالى

تلقينا وفاة الأستاذ محمد نسيم قمر الندوي من ولاية بنغال في ٢٥/ شوال ١٤٤٥هـ ، المصادف ٥/ مايو ٢٠٢٤م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأستاذ نسيم قمر الندوي من مديرية آسنسول بولاية بنغال (الهند) ، درس في دار العلوم لندوة العلماء ، ونال منها شهادة حفظ القرآن والدراسات العليا ، ثم وفقه الله تعالى إلى أن يكون مدرساً في مدرسة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد لتحفيظ القرآن الكريم بزاوية الشيخ علم الله الحسني ، وقام بتدريس القرآن الكريم فيها بكل أمانة ودقة ، ثم رجع إلى وطنه واشتغل بأعمال تعليمية وإصلاحية ودعوية ، ومن خلالها أنشأ مدرسة إنجليزية للأطفال الناشئين ، وهي مدرسة نموذجية لأهالي المنطقة ، كما قام بإعداد مقررات دينية لمدرسته ، فنالت القبول والتقدير في الأوساط العلمية ، وقد أصيب بمرض خطير ، فأصبح طريح الفراش ، ثم لبى نداء ربه .

رحمه الله رحمةً واسعةً ، وغفر له زلاته ، وأسكنه فسيح جناته ، وألهم أهله وأسرته الصبر الجميل .

بسم الله الرحمن الرحيم

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة
ص ب ٩٣، ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)
الفاكس: ٢٧٨٧٧١٠- ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI

NADWATUL ULAMA, P.O. BOX. 93
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)
FAX:0091-522,2741221-2741231
E-Mail: albaas1955@gmail.com

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم! حفظه الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة، نشكركم على ما تتابعونه من قراءة: "البعث الإسلامي" وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة، تصدر من ٦٩/عاماً بالاستمرار، وهي تجتاز الآن عامها السبعين - والحمد لله - ونرجو الله سبحانه أن يوفر لإتمامه جميع الوسائل اللازمة ويجعل التوفيق حليف العمل والعاملين.

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً، وبتكلفة باهظة، ولاسيما بعد تضاعف أجرة البريد فهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي وشيء من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول.

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك باسم:

AL-BAAS, A/C No. 10863759846
IFSC CODE: SBIN0000125, SWIFT CODE: SBININBB157
STATE BANK OF INDIA, LUCKNOW MAIN BRANCH (INDIA)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أخوكم المخلص
سعيد الأعظمي الندوي
رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي

بالعنوان التالي:

مكتب "البعث الإسلامي" مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

R.N.I. No. (U.P.) ARA/2000/02341
Postal Regd. No. SSP/ LW-NP/64/2024 To 2026
Published on: 3rd of Every Month
Posted at R.M.S. Charbagh Lucknow-04

Despatch Date: 5,6,7
ISSN 2347-2456
Per Copy. Rs. 40/-
Annual Subs. Rs. 400/-

Monthly

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol. No. 70 Issue. No.07 July 2024

إصدارات حديثة

(١) معارف السنة

(كتاب الإيمان ، كتاب الجهاد ، كتاب الآداب)

تأليف

الأستاذ شمس تبريز خان القاسمي

الناشر

دار العلوم الإسلامية ، بستي – أترابراديش (الهند)

Mob: 9415162702

(٢) أسبوعان في ظلال ضيافة الرحمن

رحلة لبلاد الحرمين الشريفين

تأليف

الأستاذ محمد نعمان الدين الندوي

الناشر

معهد التعليم والتربية – لكناؤ (الهند)

Mob: 9044494099

(٣) مجلس إحياء المعارف النعمانية

تأليف

د/ سعيد بن مخاشن

الناشر

مجلس إشاعة العلوم با امعةالنظامية – حيدرآباد (الهند)

Mob: 8074593783

Designed by Hamid, Mob:9889654027,9918687777, E-mail:hrhamid1962@gmail.com

Printed & Published by MOHAMMAD TAHA ATHAR on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.
Editor: SAEED -AL - AZAMI - AL- NADWI